كسافا افريقية

قصص قصيره مترجمه

على محمود

مقدمة.

القصة القصيرة هى فن التركيز فهى لاتحتاج الى أكثر من شخصية أو اثنتين فى موقف واحد فى لحظة واحدة .

ومع ذلك قد يتفرغ الموقف فيصير بضعة مواقف ،وقد تمتد اللحظة فتصبح أياما أوشهورا أو سنينا.ومهما تمادى التفرغ والامتداد فلابد من تلك العصا السحرية التى تشبة عصا المايسترو،وهى العصا التى تمكن كاتب القصة القصيرة من التحكم فى الشخصية والموقف واللحظة بحيث لا تنشز أو تصيب بنية القصة بالخلل.وهذا مايدركه الكاتب الموهوب عن طريق الممارسة،حين يصل الى ذلك التوازن الدقيق بين ذاتة وموضوعه.

فالقصة القصيرة أشبة بالقصيدة الغنائية التى يبثها الشاعر نجواه،ولكنها_أيضا_اشبة بالمقالة البحثية التى يراعى فيها الكاتب موضوعية التناول،ودقة التعبير ،أما فهم الكاتب لنفسه ووضعه فلا يتحقق الا من الممارسة الطويلة نسبيا.

يقول الكاتب الكينى نجوجى واثيونجو عن مجموعته القصصية"ألوان من الحياة السرية" Secret Livesعام ١٩٧٥م:

"تشكل قصص هذه المجموعة سيرتى الذاتية الابداعية على امتداد السنوات الاثنتى عشرة الاخيرة،وتتناول الآفكار والآمزجة التى كان لها تأثير على خلال تلك الفترة:فكتابتى_فى الحقيقة_ليست سوى محاولة لفهم نفسى ووضعى فى المجتمع وفى التاريخ"

وقد لعبت المجلات أمثال مجلة الوضوح,claridadeمجلة الوجود الافريقى,Presence Africaine،مجلة الطلبة,the Drum،مجلة أورفيوس الاسودBlack Orpheus،مجلة الانتقال,Transitionمجلة أوكييامى Okyeame،دور الحاضنة التى نمت بها القصة القصيرة

وعلى الرغم من تفوق الرواية والشعر فى الابداع عن القصة،لكن يظل التمييز للقصة من خلال الاعمال التى قدمت بداية من المجموعه القصصية- العهد الاسودBlack Testamentلبيتر أبراهامز عام ١٩٤٢،حتى وقتنا الحاضر.

١_نجوجي واثيونجو(جيمس نجوجي)

يعد نجوجي واحداً من أهم كتاب افريقيا المعاصرين ولد في ليمور وبكينيا عام١٩٣٨، وبدأ يمارس أعماله الجادة في أثناء دراسته الجامعية(كلية ماكريري الجامعية بأوغندا، ثم جامعة ليدز فيما بعد).

كتب نجوجي المسرحية والرواية والقصة القصير، كما كتب في السياسة والثقافة والأدب، وتدور معظم أعماله حول الصراع القبلي والعرقي والماسي الناجمة عن هذا الصراع، وبدأت رواياته في الظهور عقب وقت قصير من تخرجه.

ومن أعماله الروائية الشهيرة: لا تبك يل طفل(١٩٦٤) والنهر الوسيط(١٩٦٥) وحبه قمح (١٩٦٧) ومن أعماله الدرامية: الناسك الاسود التي نشرت عام١٩٦٨ وفي عام١٩٧٣ صدر له العودة إلي الوطن، وهو مجلد ضخم يضم مقالات نقدية في الأدب والثقافة والسياسة والأدب في جزر الهند الغربية، وفي منتصف سبعينيات القرن الماضي شغل منصب رئيس قسم الأدب بجامعة نيروبي، وكان قد قام بتدريس الإنجليزية في كلية ماكريري وجامعة نورث ويسترون بالولايات المتحدة الأمريكية.

قصة قصيرة للكاتب؛ شجرة التين والزوجة الخامسة

للكاتب الكيني نجوجي أو اثيونجو (جيمس نجوجي)ترجمة محمد عبد الواحد

تلك هي شجرة تين جرداء، في عظمة تتشابك، جزعها يتضاءل حتي ليكاد يختفي ،وهي بالزهر متيمة.

إذ تتعري في لحمتها علي نحو الازدهار يشي، ومنها ألوان الحياة تنطلق.

كان ثمة زهرة من داخلها اينعت، وفي باطن الرحم ازدهرت، والآن ثمة رحمة مكتمل، في شكله يشبه الزهرة.

د.هـ لورانس

وقفت موكامي بالباب، وفي تثاقل أدارت رأسها وراحت تنظر ناحية الموقد، وانتابها التردد للحظة قصيرة.. فلقد بدت النار الخامدة و المقعدة الصغيرة بجوار الموقد وكأنهما يدعوانها للعودة. لا.. لقد استقر رأيها، لابد من أن تمضي وفي ثوب خارجي زيتي اللون أملس شد إحكام حول رأسها، ولولاه لكان الراس حاسراً، ثم انساب فوق كتفيها النحيلتين الضيقتين، اندفعت نحو الظلام الموحش المخيف.

كل شيء كان هادئاً، والهواء يغمره من السحر، وإن أحست أنه يتهددها، وانتابها الفزع من اتساع رقعة الظلام الموحش العنيف الذي لفها في سرابيله، وبسرعة تحركت عبر الفناء الذي تألفه تماماً، وهي تخشي أن يصدر عنها أدني صوت ، وبدا الفناء وأكواخ ضراتها الأربع وظل كوخ

زوجها بل وحتي كوخها جميعاً قد انضمت لتترنم معا وفي آن واحد وفي صمت، بلعنة أبدية علي ما تنوي القيام به ، وفي ذلك الصمت المتسم بالازدراء الممزوج بالرثاء توسلت إليها هذه الأكواخ وكأنها تقول:" إنك تهجرين رجلك.. عودي أدراجك!".

لكنها عبرت الفناء في إصرار، واتخذت طريقاً يفضي بها إلي البوابة اليسرى، وببطء فتحتها ثم أغلقتها ووقفت برهة ، أدركت خلالها هي تغلق هذه البوابة أنها تسدل ستاراً علي جانب من جوانب حياتها.

وكانت دموعها علي وشك أن تنهمر وهي تدير ظهرها بقلب مثقل بالحزن لمنزلها الشرعي.. وبدأت تتحرك.

وسالت نفسها.. تري إلي اين تذهب؟.. لكنها لم تكن تدري ولم تكن تهتم كثيراً بذلك، كل ما كانت تبتغيه هو أن تهرب وأن تمضي فلتمض إذن، ولتذهب إلي أي مكان.. لتذهب إلي ارض ماساي أو إلي كامباني، كانت تريد الابتعاد عن الموقد والفناء والأكواخ والناس.

الابتعاد عن كل ما يذكرها بمرتفع موهوريني وكل سكانه، سوف تمضي ولن تعود إليه.. إلي زوجه.. لا .. إنه ليس زوجها، بل هو الرجل الذي اراد قتلها، والذي كان يود تحطيم روحها، إنه لم يعد زوجها بعد، ولو أنه هو الرجل نفسه الذي كانت شديدة الإعجاب به.

كيف تأتي لها أن تمقته؟.

وتدفقت علي راسها أفكار ، تدور حول وكأنها طوفان عارم ،وعادت إلي ذاكرتها صور حياتها الزوجية القصيرة مع موثرجا.. زوجها.. الرجل العصامي صاحب الزوجات الأربع وما أشيع عن غلظة معاملته لهن، وإحجام أبيها عن أن يزوجها له، ورفضها بعناد أن تصغي السمع إلي اعتراضاته، ذلك أن موثوجا كان قد فتن لبها تماماً فاستبدت بها الرغبة فيه، وتاقت نفسها إلي الانضمام إلي حاشيته.. زوجاته وأبنائه ، والحقيقة أنها منذ تفتحت عيناها علي الحياة وهي تكن في الخفاء وبإصرار، إعجاباً شديداً بهذه الرجل .. بخطوه.. برقصه.. وفوق ذلك بصوته الجهير ومظهره الرياضي كل ما يحيط به كان يوحي بالغموض والقوة، وكانت فترة الخطبة قصيرة وغريبة.

فهي مازالت تتذكر خفقات قلبها وبسمتها العريضة وترددها في قبول عقد من اصداف المحار عربونا للزواج، ثم احتساء الجعة وتقديم الصداق المعتاد عقب قبول العقد.

غير أن الناس لم يصدقوا ذلك، ونظر إليها بسخط واستياء كثير من المحاربين الشبان ممن تجاهلت عروضهم للزواج، كانوا يتحسرون قائلين" أيضحي بمثل هذا الشباب والجمال من أجل رجل مسن"؟ وساد اعتقاد بين أكثر من شاب بأنها وقعت اسيرة سحره.

وراحوا يتهامسون بذلك فيما بينهم، والحقيقة أنها كانت كذلك، فقد انجذب قلبها كلية نحو هذا الرجل.

ولم يكن يوم أن حملت إلي كوخه بأقل إثارة في نفسها وانطباعا في ذاكرتها عن غير ذلك من أحداث، وكان كوخاً جديداً شيد خاصة من أجلها فلقد كانت في طريقها إلي المزرعة، وإذا بثلاثة رجال انشقت عنهم الأرض فيما يبدو يدنون منها فجأة إنها لم تدر من أين جاءوا، ثم أدركت الأمر لقد كانوا قادمين من أجلها، وكان ينبغي عليها أن تكون واعية بذلك من قبل وأن تعد نفسها لهذا الحدث، فلقد حل يوم عرسها، وبشدة رفعها الرجال الثلاثة من فوق الأرض.

وللحظات انتابها في الواقع خوف، وتهيأت للدخول في صراع حقيقي لتتخلص من قبضات أيدي الرجال الثلاثة المحكمة والرقيقة في آن واحد، وكانوا يحملونها فوق أكتافهم، الرجال! آه.. أولئك الرجال!..

إنهم لم يهتموا كلية بصراخها المهتاج وتجاسر أدهم وقرصها في وقاحة قائلاً لاحد زميليه بلا اكتراث" فقط لكي تهدأ" وصدمتها القرصة بطريقة غريبة ، طريقة غريبة لكنها ممتعة للغاية، وكفت عن صراخها، وأدركت لتوها أنها محمولة علي الأكتاف فوق عيدان من الذرة الناعمة المليئة بالحبوب، والتي كانت تدغدغ قدميها وجنبيها...

والرجال يمضون بها، وأحست بسعادة حقيقية، غير أنها أدركت فجأة أنه يتحتم عليها أن تولول طوال الطريق إلي بيت زوجها، وأن تواصل هذه الولولة أسبوعاً بكامله.

وتذكرت الموسم الأول .. فيه فاض عليها حبه وغمرها برعايته. وبسبب شبابها صارت هدفاً لحسد وبغض غيرها من الزوجات الأخريات وسرعان ما نشأ بينها وبينهن نفور شديد يا لهؤلاء النسوة!.. لماذا لم يدعنها تستمتع بما استمتعن به سنوات... بحبه؟.... إنها مازالت تتذكر كيف أن واحدة منهن وهي أكبرهن سناً تعرضت للضرب حين رفضت السماح لها بالحصول علي وقود من كوخها، وكان هذا إيذانا بالكف عن المشاجرات والعراك والتصرفات العدائية، وأصبح الصراع بعد ذلك يدور في صمت، وصارت موكامي صلبة في مواجهتهن ، ولم تعد تأبه لوقاحتهن وتجاهلهن لها وهو ما جاهدن في أن يشارك فيه أهالي القرية بكاملها، وكانت تحدث نفسها، لماذا تأبه لذلك؟.. ألم يتحقق لها حلمها وطموحها وأمل حياتها بل وكل شيء في هذا الرجل؟.

ومضي موسمان بل وثلاثة مواسم ثم بدأت الدنيا من حولها تتبدل، إذ أنها لم ترزق بعد بطفل.

ثاتا!.. امرأة عاقر!.

لا طفل حتي الآن يربط ما بينها وبينه من أواصر

لا طفل تشغف به حباً، تعانقه وتعنقه.

لا طفل يخلد ذكري الأرواح الراحلة

أرواح أسلاف رجلها وأرحام أبيها

لقد انهزمت وأدركت هي ذلك كما أدركته الأخريات ، وكن يتهامسن ويبتسمن .آه ،كما آلمتها ابتساماتهن، بما تحمل من وقاحة وخيلاء، بيد أنه لم يكن ثمة ما تخشاه، فليشعرن كما شئن بالظفر، فما زالت تستحوذ علي رجلها.

لكن الرجل بدأ يتبدل دون سابق إنذار، ومع الأيام هجرها تماماً وهجر كوخها وأكثر من التزام كوخه هو وأحست بالمرارة ، وراحت تلح في طلبه وانفطر قلبها أسي عليه، لكنها لم تظفر به، فقد ارتدت إلي موثوجا المحارب الفلاح الراقص قساوة قلبه المعهودة تلك التي كانت قد خففت هي حدتها فترة من زمن، وبدأ يضربها فقد شاهدها مرة تتشاجر مع كبري الزوجات فوجد في ضربها متنفسا لكل غضبه المختزن واستيائه وإحباطاته. آه الضرب، والجمع الذي شاهد هذا الضرب ولم يقدم عوناً قط! وكان هذا مقدمة لذلك التنكيل والشقاء اللذين كان أن يفضيا بها إلي الموت في ذلك الصباح نفسه، فقد زارها في وقت مبكر وانهال عليها ضرباً دونما إنذار أو توضيح للسبب.

وكان الضرب مبرحاً بحيث تركها علي شفا حفرة من الموت، لم تصرخ.. فقد رضيت بنصيبها، وبينما كانت علي الأرض راقدة تظن أنها النهاية ، تبين لها أن الأخريات ربما كن يعانين كثيراً بسببها.

أجل .. لقد أتيح لها أن تراهن وهن يتعرضن للضرب ويصرخن التماسا للرحمة بيد أنها جاهدت بإصرار ألا يؤدي مثل هذا الضرب وهذه الهواجس إلي إخضاع إرادتها، يجب أن تنتصر وأن تفوز.

وبهذا اليقين وإدراك الأمور حولها استقر رأيها سريعاً علي ما اعتزمته، فليست هذه الدار مكاناً تعيش فيه، وهي لا تستطيع العودة إلي موطنها لتواجه مرة أخري أباها العزيز المسن الحذر دوما، إنها لا تستطيع تحمل هذا الخزي.

وردها نسيم الليل البارد عن شرودها، وانسابت علي وجنتيها دموع طال احتباسها وهي تسرع هابطة في ذلك الممر الذي يتلوى داخل الدغل منحدراً إلي الوادي ومخترقاً الغابة ، وكان الظلام كثيفاً، فشق عليها أن تجد طريقها خلال متاهة الاشواك والأحراش، ولكن..

أيتعاطف معها ذلك الجدول المدموع وهذا الشجر الساكن الذي يحيط بها، أم أن كل هذا يشارك القرية في شجبها الصامت لفعلتها هذه ؟.

وسارت مع الجدول، ثم عبرته عند بقعة هي أكثر بقاعة انخفاضاً حيث كان ثمة حجران أو ثلاثة أحجار تمكنت من أن تخطو فوقها، وكانت ما تزال شديدة الإحساس بالمرارة وبالحزن إلي درجة أنها لم تلحظ الأخطار المحدقة بها، أليس هذا هو المكان الذي يلقي فيه بالموتى، حيث ترفرف أرواحهم في الهواء وتمتزج بالأشجار وتتحرش بالغرباء والدخلاء؟. ونقمت علي الدنيا وعلي زوجها بل علي نفسها.. أو يمكن أن تكون مخطئة طوال

هذا الوقت؟. وهل هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه بسبب تشبثها في أنانية بهذا الرجل؟.

ولكنها أيضاً ضحت بشبابها وجمالها من أجله، وازداد انهمار الدموع واشتدت اللوعة.

أواه يا أرواح الموتى.. تعالي إلي!

أواه يا مورونجو، يارب جيكوبو ورب مومبي،

يا من تسكن كرينياجا العالية، مع ذلك أنت في كل مكان.

لم لا تخلصني من الشقاء؟.

يا أمي الأرض العزيزة ، لم لا تنشقين وتبتلعينني

تماماً كما ابتلعت جومبا- جومبا الذي

اختفي تحت جذور الميكونجي؟.

واستغاثت بأرواح الأحياء و الموتى ترجوها أن تأتي وتحملها إلي مكان بعيد حيث لا يراها ثانية وإلي الأبد أحد علي الإطلاق.

وفجأة سمعت صوتاً بعيداً حزيناً، صوتاً مثيراً للشجن، ولكنه صوت حقيقي، كما لو أنه كان استجابة لتوسلاتها، وبدأت الريح تهب بعنف ، واختفي آخر نجم، وهو النجم الذي كان يسري عنها بغرابة شديدة، وكانت وحيدة وسط ظلمة الغابة ، ومسها شيء ما بارد لا روح فيه ولا حياة فوثبت، وأخيراً

فعلت ما لم يفلح الضرب في أن يؤديه معها.. فقد صرخت، وتجاوبت الغابة جميعها مع صدي صراخها، وتملكها رعب قاتل، وارتعد الجسد كله، ثم أدركت أنها لم تكن وحيدة، كانت تشاهد هنا وهناك ألف عين تتوهج توهجاً متقطعاً علي طول جدول الماء ، كما شعرت بأيد كثيرة خفية تدفعا إلي الأمام وإلي الخلف، غير ان المشهد ووعيها فجأة أنها وحيدة في ارض الأشباح وبعيدة عن بيتها أصاباتها برعدة، لقد فقدت القدرة علي الإحساس أو التفكير أو حتي البكاء.. كان هذا قدرها.. فهي إرادة مورنجو، ورويدا رويداً أخذت تتهاوي علي الأرض، حيث خار آخر ما تبقي لها من قوة في جسدها، وكانت هذه هي النهاية.. ذروة أحلامها وطموحاتها، بيد أن الأمر كان مثيراً للسخرية تماماً إنا لم تكن تريد حقاً أن تموت فالحياة جميلة ، وهي لم تكن تطمح في شيء سوى أن تتاح لها الفرصة لتبدأ الحياة من جديد، حياة بذلك والعطاء، وليست تلك الحياة التي تقوم علي الأخذ فحسب.

لم يكن لتعاستها حد، ذلك أنها حين أرتمت بجسدها علي الأرض، بل وعندما تردد في الأفق صياح بوم وزئير ضبع من بعيد، اشتد هبوب الريح، وعلا الصوت الحزين وازداد اقتراباً، وبدأ هطول المطر، وبدت الأرض من تحتها وكأنها تتصدع وتنفلق.

لكن عندما أبرقت السماء وقصف الرعد، لمحت شجرة عن بعد، وكانت الشجرة ضخمة، ولمحت مع ذلك الدغل وهو ينحني في رقة ولكن في

إجلال حول الجذع كله، وعرفت.. أدركت دون أن ينبئها أحد أن هذه هي الشجرة، شجرة التين المقدسة والتي يسمونها موكويو- مذبح مورونجو البصير بكل شيء وقالت" هنا أخيراً موقع الحرم المقدس".

ونهضت تركض تتحدي المطر والرعد والاشباح، وتواري الزوج وتواري معه أهالي مرتفع موهرويني، تلاشت صورهم واختفت بلا اهتمام ولا مبالاة، وبدأ وكأن الحمل الذي يثقل علي قلبها قد انزاح عنها وهي تركض داخل الدغل الشوكي وتصطدم بالأشجار فتهوي علي الأرض ثم تنهض، وذهب عنها إحساسها بالعجز، وتبدد قلقها، وكان هدفها الوحيد هو أن تصل إلي شجرة التين، إنها مسألة حياة أو موت ... معركة من أجل الحياة، فهناك تحت شجرة التين ستجد الملاذ والمطأنينة هناك ستلتقي بإليهها مورونجو.. رب قبيلتها.

ومن أجل هذا راحت تركض رغم ما اصابها من هزال، وقد أحست بتوهج ممتع ولذيذ يسري في حناياها ويتراقص مع رحمها، إنها الآن قريبة من موضع الحرم المقدس، من مذبح أعلي العليين ، موضع الخلاص، وهكذا راحت تركض تجاه المذبح، لا إنها لم تكن تركض، بل إنها تطير، أو إن روحها علي الأقل هي التي تطير، لقد شعرت أنها خفيفة، كأنها ريشة تدفعها الريح، وأخيراً بلغت البقعة التي تريد لاهثة مبهورة الأنفاس.

واستمر المطر يهطل، لكنها لم تكن تدري أو تحس بشيء، فقد رقدت وغلبها النوم تحت أذرع شجرة الإله الحانية، وسيطرة عليها السحر مرة أخري.

وصحت موكامي من نومهاوجله، ما هذا. لا أحد هنا؟ لا شك أنها كانت مومبي التي تقف إلي جوار زوجها جيكويو هي التي مستها مسة رقيق نفذت داخل جسدها مباشرة ، لا، لابد من أنها كانت تحلم، ولكن يا له من حلم جميل وغريب!.. وكات مومبي قد قالت " أنني أم القبيلة" وتلفتت موكامي حواليها، وكان الجو بارداً مظلماً، وهناك... كانت الشجرة العتيقة قوية فتية.. كم من الأسرار لابد من أنك تحتفظين بها؟..

" ينبغي أن أعود إلي البيت، أعود إلي زوجي وقبيلتي"

موكامي التي تفوهت بهذا كانت امرأة جديدة وديعة، ولكنها كانت مفعمة بالأمل، ثم استغرقت في النوع ثانية .. إنه السحر.

كانت الشمس ترتفع في المشرق وخيوط الضوء الغامرة التي تميل للاصفرار وتتخلل الغابة، تنفذ إلي حيث كانت موكامي تجلس متكئة علي الشجرة ، وعندما مست بشرتها خيوط الضوء الشاردة، انتابها إحساس بهيج، إحساس سري في كل جسدها، فجري الدم في عروقها ، واه واه ... لقد شعرت بدفء.. دفء شديد وبسعادة وبهجة وتراقصت روحها، واستجاب لذلك رحمها.. ثم أدركت أنها حبلي... لقد كانت حبلي منذة فترة من الزمن.

وحين نهضت موكامي واقفة تتهيأ للعودة، حملقت في الفضاء بعينين غائمتين، وقد انحدرت علي وجنتيها دموع امتنان وخشوع عميقين، وتطلعت عيناها إلي ما وراء الغابة إلي ما وراء جدول الماء، كما لو أنهما تشاهدان

شيئاً ما.. شيئاً يخبئه المستقبل البعيد، وأبصرت أهل مورهوريوني، ورأت ضراتها ورجلها... رأته فتياً قوياً يقف بينهن ، ذاك هو مكانها الصحيح، هناك بجوار زوجها ووسط الزوجات الأخريات، يجب أن يتماسكن ويساندن القبيلة، ويمنحنها حياة جديدة.

ومن مكان بعيدة خارت بقرة، فنفضت موكامي عنها أحلام اليقظة.

" يجب أن أمضي".. وبدأت تتحرك و ما زالت شجرة التين منتصبة في صمت.. ضخمة .. يكتنفها الغموض.

يعرج بنا الكاتب الى أعماق بطلة قصتة ،فهى أحدى زوجات لرجل واحد ولكنه هجر كوخها وقد طال انتظارها له بسبب انها أمراه عاقر لاتلد.

فهى تتذكر بداية قصة حبها لة وكيف تمت مراسم الزواج،ثم نظرة النساء لها وهن يتهامسون،فلم تجد بدا الا الوصول الى شجرة التين التى يرقد بقربها رب قبيلتها مورونجو.

فقد تمكن كتابنا من وصف خلجات بطلة القصة،وغاص فى أعماقها،وعالج موضوع ليس فى المجتمعات الافريقية بحسب ولكن فى كثير من المجتمعات الشرقية ،هى الرغبة فى الذرية ،ومعاناه المرأة العاقر التى ينتهى الامر بها الى بيت ربها.

ويفاجئنا الكاتب فى نهاية القصة أن موكامى قد غلبها النوم أسفل شجرة التين وكانت تغض فى نوم عميق وعليها العوده لكوخها لتساند زوجها وقبيلتها وهنا تظهر فكره الانتماء والولاء للجماعة والتفانى فى تقديم التضحية من أجل بقاء الجميع.

القصة تحوى شخصية واحده وهى موكامى المحور الرئيسى ،كما تملك الكثير من القدره على الوصف والمعالجة.

٢_أوبى ب. إجبونا

كاتب نيجيرى عمل صحفيا فى بريطانيا،وأدار فى منتصف سبعينيات القرن الماضى الحلقة الدراسية للكتاب فى اينوجو بغرب نيجيريا .وقد أذاعت له الاذاعة البريطانية قصة امبراطور البحر،وقدم له التلفزيون عملا دراميا من روايته(الريح ضد تعدد الزوجات).ومن أعمالة كذلك..... ابنة الوزير

لا يمكن للانهار ان تتكلم

قصه (للكاتب النيجيري أوبي ب. إجبونا)ترجمة محمد عبدالواحد

رحت أرقب العذراء الشابة وهي تستحم في النهر حتى ترقرق الدمع في عيني. فقد كانت أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وكنت جالسا فوق قنطرة من خيرزان أعرض جسدي لأشعة الشمس بعد سباحة قمت بها. وفي كل مرة تنحني المرأة لترش ماء على جسدها، تئن الريح بين الشجر، ويتغضن سطح النهر فيما يشبه ابتسامة تتسع لتصير موجات لابتسامات مرحة، ثم تتلاشي بعيدا. وغمغمت وأنا أتنهد ..آه.. لو أمكن للأنهار فقط ان تتكلم! . ربما هي تفعل ذلك ، لكنه خطأ الانسان الذي لا يتعلم لغتها. ومع ذلك فهي تخرخر في أثناء تدفقها ، تطلق نحو الرياح، وتفقد حدتها في كل مرة ترتطم بالشط أو بصخرة شوهاء تعترض طريقها. إنه لأمر طريف عندما

تفكر في ذلك. فالإنسان في بحثه عن الحكمة وعن المفتاح الذي يفض به مغاليق الحياة قد تعلم لغة كل شيء يزحف على ظهر الارض او يطير في السماء . لكنه يجهل لغة مصدر الحياة نفسها ، أعني لغة البحر. ربما حاول البحر ان يقول للإنسان شيئا منذ فجر الزمن، ولو تأنى للإنسان ان يوقف من سرعة الزمن كي يصغى السمع، فلربما عثر على سر أبدية البحر ، وحكمة همسه، وقوة هديره، وجمال موسيقاه، وانضباط قاعه.

لو أمكن للأنهار ان تتكلم فحسب ، فسيكون لدى هذا النهر يقينا الكثير مما يمكن ان يبوح به. فكل انسان في قريتنا يأتي هنا ليستحم أو ليسبح، و يجئ لمجرد الثرثرة والنميمة، ويحدث ذلك مرة كل يوم على الاقل، ترى ماذا رآه النهر ولابد عبر السنين، حيث تولد أجيال جديدة واجيال قديمة تمضي؟. لقد رأي كل شامة وتحسس كل فلقة في جسد كل رجل وامرأة فيما بين هذه التلال السبعة. لقد عانق أشد العذارى عذرية ومارس معهن الجنس، ولابد من أنه كان يقهقه ضاحكا وهن ينصرفن عنه ومازلن يعتقدن أنهن عذارى. لقد منح الدميمة جمالا ، ومحا إثم الازواج غير الاوفياء وكذلك الزوجات، و روى عطش لصوص الليل، واستقبل سلعا مسروقة، وأزال بقع دم من أسلحة القتل. لقد طهر ألسنة الكذابين، وندى شفاه الغدارين، وهدأ من ثائرة المحاربين العابرين، وشاهد الشبان يتزوجون ويتقدم بهم العمر، وبإمكانه ان يحكي متى كانوا يجيئرن لحمام الصباح بطابعه الاجنبي الذي لا يبيح لأحد ان يتجاوز مرفق اليدين. إنه قدر كبير من أسرار تحملها الصدور وتكتمها.

ومع ذلك ربما كان من الافضل لو ان الانهار أطبقت فمها وصمتت، ولكن لو حدث وتكلمت لكان بإمكانها ان تتسبب في نشوب حرب عند مطلع كل فجر.

لكن اليوم ، ليس هناك حرب او اشاعات عن حرب. فهناك تحت.. وبجوار النهر حيث اجلس، كانت الحياة كلها أغنية، فالشمس تصب خضرة على أوراق الشجر، وتغمر المناظر الطبيعية حولى بموجات من الضوء والحرارة.

واستمرت العذراء الشابة ترش الماء فوق جسدها البديع، وظلت الريح في الاعالي تضحك في خفوت، كما بقى النهر مبتسما حتى كادت الامواج تتلاشى، بينما ظلت دموعي تنساب من عيني وانا احدق صامتا في جمال جسد العذراء العارية.

وفجأة سمعت صوتا ورائي يقول " جميلة هي ... أليس كذلك؟"

انتفضت والتفت ورائي ، فإذا برجل مسن يقف خلفي وقد وهن جسده مع تقدم عمره. لكني ادركت ان مظهره كان ولابد أنيقا في فترة شبابه. وكان جلد الاسد الذي يرتديه مازال يبدو عليه رائعا، ينغرس في جسده وكأنه سلك مشدود باحكام فيبرز عضلات عجيزته ، كما لو كان مصارعا يتباهى بعرض عضلاته مع صوت الطبول قبل بداية المصارعة.

وحين لاحظ العجوز خجلي لم يمهلني حتى أكلمه، إذ جلس بجواري على القنطرة الخيرزان، وأبان بابتسامة له عن اسنانه، فبدت سناه الاماميتان

بنيتين من أثر التدخين. لكن ابتسامة كانت ودودة وأبوية. وتفل في النهر ثم أشعل غليونه.

"جميلة.. هه؟" . وكرر السؤال وغمز بعينه ناحية العذراء العارية في النهر، وكان صوته خشنا أخشن، شبيها بالصوت الذي يصدر عادة عن مص عود من قصب السكر، وتفوح من أنفاسه رائحة نبيذ البلح.

وأجبت " نعم يا مازي " . ولقب مازي ورد لساني بطريقة طبيعية، ذلك رغم اني لم اكن اعرفه أو أعرف اسمه، فقد خمنت ان الرجل ربما كان رئيسا ويحمل هذا اللقب، وهو لقب شرف، أو هكذا ينبغي ان يكون وهو في سنه تلك.

وسأل ثانية وهو مايزال يحدق في وجهي بابتسامته المفعمة بالدخان " إنها تفتنك .. هه؟".

وأجبت دون ان ادري ما اذا كان ولابد وان أبادله الابتسامة او لا " نعم يا مازي .. انها .. تسحر لبي".

وهرش ذقنه بطريقة كان من الواضح انها لم تكن تسبب له حكة. ثم ابتسم بخبث وقال " هذه علامة تنذر بالخطر يا بني. ولو كنت مكانك لوجب على ان انتبه الى هذه العلامة".

"أي علامة خطر تلك يا مازي؟".

لم يجب في الحال ، إذ سحب نفسا من غليونه ، وأطلق الى الهواء دوامة من دخان بني اللون، ثم قال وهو يومئ برأسه الى المرأة الشابة" أترى هذه العذراء؟... إنها جميلة كما ينبغي الجمال ان يكون.

في كل مرة تتطلع اليها يمتلئ جسدك رغبة، كل استدارة في جسدها تغريك بالدنو منها وإغراق رجولتك فيها حتى النخاع. خذها مني نصيحة يا فتى .. من الافضل ان تنصرف وتمضي الى بيتك، وتغرس أسنانك في كبد عنزة، لأن هذه الغادة لو تملكتك وأغرقتك في دفء جسدها، ضاعت حريتك الى الابد. إنهن يشبهن الملائكة، ومذاقهن كعسل النحل. لكن لدى كل واحدة منهن ساحرة بين فخذيها".

وتفل العجوز في النهر، وراح يراقب سطح الماء وهو يتغضن في عبوس ويمتد في موجات الى ان تمتزج دوائر هذه الموجات الغاضبة بتلك الموجات المرحة التي تولدت في نفس المكان الذي غطست فيه ثانية الغادة العارية.

وكانت القنطرة التي نجلس عليها تقع تحت ظل تكون بين نخلتين. وكانت الريح تعزف على مزمارها برقة بين اوراق الاشجار المتشابكة فوقنا، وتحرك في قاع الوادي شذا زهرات تمرهند مخملي يهب من هناك ويهبط علينا لينتشر في المكان من أجلنا. ومازالت تعليقات رفيقي العجوز تتلاعب

بعقلي. ووجدت انه من الصعب تصديق ان لزهرة الانوثة الجميلة هذه ساحرة تقبع في أية بقعة في جسدها.

وسألته " لم تسخر من النساء يا مازي على هذا النحو؟".

فقال " اسمح لي ان اقص عليك حكاية يا صديقي الشاب".

وتمخط الرجل ومسح شفته العليا بظاهر يده، ثم شرع يروي حكايته " ما سأرويه لك يا صديقي حقيقي كحقيقة وجودك ووجودي هنا سويا.

وقد وقع منذ عهد ليس موغلا في البعد . لن اقول إنه كان قبل مولدك تماما، كما ان ما مضي عليه من سنين، ليس اكثر عددا من أصابع يديك وقدميك.

ففي أرض تنأى عن هذا المكان وتتجاوز منبع هذا النهر تماما، توجد قرية اسمها ندينه – تشوكوو، ومعنى هذا الاسم ، حجرة نوم السبب. لقد كانت قرية صغيرة فحسب على سفح تل، لكنها صارت شهيرة في كل أرجاء العالم. أما ما أضفي عليها هذا الصيت، فهو جمال عذراواتها. تلك أيام مضت، حين كان الجميل وليس القوي هو ما يعتد به في الحياة، وحين لم يكن القوي قد صار جميلا، ولا الجميل بدون قوة صار دميما وقبيحا. يا الله! .. كم تبدلت الامور!.

" وبهذا اتسعت الشهرة، ولم يتمكن أي ركن من أركان الدنيا ان يفاخر بأن نساءه لهن نصف طلاوة نساء هذه البقعة الضئيلة للقرية القابعة على سفح التل. بل ان اشاعة حول الالهة سرت، تقول انها كثيرا ما تهبط من السماوات متنكرة في صورة بشر، وتجوب القرية في الليالي المقمرة لتغذي البصر بجمال الفتيات الخالد، ولتغازل افضل من في سرب الحسان، الى ان يحين الوقت الذي تهرع فيه عائدة الى الجبال السماوية عند صياح أول ديك. ومن هنا كان اسم ندينه – تشوكوو– غرفة نوم الرب– على طرف كل لسان في العالم. ولا حاجة بي لأن أضيف الى ما قلت ان مضاجعة إله من الالهة، وكان حلم كثير من العذراوات. وكثيرا ما مارست عذراء هناك طوال الليل غزل مع إله من الالهة لتكتشف عند الفجر ان جلالته المقدسة قد اعتصر خمر البلح للانتعاش والسرور، وأنه قد صار بشريا بالقدر الذي يمكنه من أن يحبل امرأة – ان ثمة فرصة للفطنة – لكن الامور كانت تطيب دائما في النهاية، فتترعرع الفتيات ليصرن اكثر حكمة وجمالا.

ولكنك لابد من ان تتوقع لقرية كهذه بها أشد النساء إثارة على وجه الارض ان يكون أهلها أسعد الناس كذلك. لكن الامر لم يكن على هذا النحو. فقد كانت هناك فتاة اكثر جمالا – والى حد بعيد – من الاخريات. وهذا أمر ليس سيئا في حد ذاته، لأنك دائما ما تجد حتى في كوكبة النجوم السماوية واحدا منها يفوق النجوم الاخرى بريقا. لكن البلدة كانت حزينة لأن أجمل العذراوات في القرية صارت دون كل الناس امرأة تتصف أيضا بصفة أخرى

مميزة، فقد كانت مجنونة. ولأنها كانت جميلة ومجنونة سموها أويوكو، أي عذراء ندينه تشوكوو المجنونة. ها أنت ترى سخرية الالهة من البشر، فهي تهب فتاة ألطف ما في الوجود كله من رقة، ثم تفسدها من داخلها.

وهكذا الحياة يا صديقي الشاب. فالآلهة تمنحك من "اليام" اكثر مما انت في حاجة اليه، ثم تضن عليك بزيت النخيل كي تنعم به. وفي موسم الحصاد التالي لا تجد سوى زيت النخيل، في حين أنك لا تعثر لليام على أثر.

أيوكو الجميلة هذه هي بطلة قصتنا، كما ولعلك قد خمنت كانت ترتاد أي مكان عارية كيوم ولدتها أمها، رغم انها شبت عن الطوق

تماما واكتمل بهاؤها وحسنها. وكان الناس يتوقفون ويحدقون فيها كلما مرت بهم. وأحيانا ما كانت ترقص في ساحة السوق، وكان هذا سبيلها لاستجداء المال كي تعول نفسها، وكان هذا سبيلها لا ستجداء المال كي تعول نفسها. وكان المتفرجون يقبلون من بعيد ومن قريب ليحملقوا فاغري الافواه في سحرها. فلم تشهد العيون أبدا جمالا كهذا الجمال في ذلك الجانب المشرق بالشمس. يا الله!. أتري تلك العذراء التي في النهر يا صديقي الشاب؟. إن جمالها كما تقول يثير شجونك ويدفعك الي الاهتياج، وأنا أستطيع إدراك السبب. ولكن وفقا لما كانوا يروونه، عليك أن تضاعف من قدر جمال هذه العذراء مرات تفوق عدد اصابع يديك وقدميك وهي عارية تدغدغ المشاعر

كما هي عليه الآن، قبل أن يومض بخاطرك تصور ما كانت عليه ايوكو.. الجمال المجنون. لقد كان جمالها مفعما بالحيوية صاعقا بشدة، بحيث كانت العيون تستشعر الالم حين تحدث فيها.

كانت بشرتها أحلك من سطح بحيرة عندما ينتصف الليل وأكثر منه فتنة. وكان شعر رأسها أسود غزيرا كأنه شعر ربة من الربات، بينما نبت فوق أكثر الاجزاء رقة في جسدها شعر في دوائر صغيرة ملتوية فيما يشبه كتابة الآلهة. وكانت أسنانها شاهقة البياض. ومن ابتسامتها يشع وهج يمكنك أن تبدد به الظلمة من حولك. وكانت عيناها نجمتين من البراءة والدعة والإغواء، وتتقدان بالرغبة المشتعلة.

ولكن ربما كان نهداها وأردافها من أشد ما تملك من مغريات مثيرة. لم يكن نهداها متضخمين ولم يكونا متهدلين مثل كثبان النمل. وكان يترجرجان في حركة بندولية، مع ميل رائع يغري بعناق يتلاقي فيه الطرفان في حميمية قصوي، الامر الذي يسيل له لعاب الناضجين من الرجال الذين عرفوا ما يدور حول الجنس، فيصورن علي أسنانهم اشتهاء، ويشدون بإحكام ما عليهم من جلد الاسد لكبح شبقهم. لكن حين تبدأ الجميلة أيوكو في الرقص، يتأوه الرجال من الالم، ويحدث ذلك عندما تتجلي فتنة أردافها وتطغي بقسوة علي خيال البالغين من الذكور. وكانت تثب في الهواء كما تثب النمرة، وترقص حتي تنتحب الريح في السماء. وكانت أردافها مرنة مفعمة بالقوة، ذلك أنها في هزة كاملة يصدر عنها أصوات نشيج رنان شبيه

بنشيج آلة "أونية" الوترية. وكان من المحال علي الانسان ان يتخيل امرأة مجنونة بهذا الجمال. لقد كانت تشبه ضوء الشمس وقد سق علي مكان خرب.

لا بد من أنك ظننت أن عذراء مجنونة كهذه، بغض النظر عما في جسدها من إغراء، تجتنبها الايادي الداعرة، أيادي أولئك الشهوانيين. إلا أن الامر بالنسبة للمسكينة أيوكو الجميلة لم يكن كذلك.

فقد كانت في الخامسة عشرة من عمرها حين سقطت في السوق مغشيا عليها في وضح النهار، وأعقب ذلك نوبات من غثيان الصباح. وبدأت النسوة العجائز يلاحظن تغيرات عليها. وقبل مضي ثلاثة شهور قمرية تبين أن أيوكو الجميلة حامل.

وأحنق النبأ القرية، وأذهل الدنيا. فلم يكن هناك موضوع للحديث في أي مكان سوي موضوع حمل أيوكو الجميلة. وتساءل الناس عمن يكون ذلك الوحش الذي أتي تلك الفعلة مع امرأة مجنونة؟. وماذا سيكون مصير الطفل؟. وكان أشد ما يدعو للدهشة أن أيوكو الجميلة لم يشاهدها أحد إطلاقا بصحبة أي إنسان. ولم تكن ثمة وسيلة لتخمين من يكون ذلك المسئول عن هذه الفعلة. وحتي عندما وضعت أيوكو طفلها – وكان باقة صغيرة لطيفة من الرجولة – ظل الاب مجهولا غير باد للعيان. بل لم تتقدم حتي قرادة طفيلية لتدعي بنوة الطفل وتكفل له المأوي.

وسألها الناس.. أيوكو الجميلة !. أخبرينا يا أيوكو الجميلة من هو والد طفلك؟. وهنا ابتسمت أيوكو في بساطة، ابتسامة تشع إشراقا، وهزت رأسه كما لو أنها لم تعرف شيئا عما يتساءلون. وعندئذ حاولوا التقرب منها بطريقة أكثر خبثا، على أمل أن يتعرفوا على شخصية الأب عن طريق اسم الطفل وسألوها.. أيوكو الجميلة!. أخبرينا يا أيوكو الجميلة ما اسم طفلك؟.

وهنا ابتسمت أيوكو ثانية ابتسامة مشرقة، أولهما هو: أوبيالو- أنيى- أوجو، ومعناه لا أحد يعصى إرادة الآلهة. وثانيهما هو أوبتيما- إيتو- أوجا- أديلى- يا، ومعناه لا أحد يعرف ما يخطه القدر.

ورغم شذوذ هذين الاسمين وطولهما، فقد أبهجا كل من سمعهما، بسبب ما اتسما به من جمال وفطنة، وما يدلان عليه من ترو في التفكير، في ظل أحوال لم يكن أحد يتوقعها من عقل مخبول. ورغم ذلك لم يلق الاسمان الضوء على من يكون والد الطفل، ذلك أن كلا منهما كان الاسم الأول، ولم يكن في القرية وما وراءها إنسان ما اتخذ لنفسه واحد من هذين الاسمين. ولم تكن ثمة شجرة عائلة تحمل ألقابا تبدو على هيئة جمل.

"واخيرا تركت المسكينة أيوكو وشأنها لتعيش في سلام مع طفلها تعني به وترضعه من صدرها في اوقات الرضاعة، وتشركه معها في فراشها الذي أعدته من أوراق الأشجار الحافة عند شجرة قضت تحتها لياليها لسنوات عديدة مضت، وتدعه للطقس الاستوائي ليعني بتدفئته. وكانت أيوكو من

شد الأمهات عاطفة وولها بابنها، فلم يكن بمقدور فرقة من كلاب تتبح ان تباعد بينها وبين طفلها.

وكانت من أشد الأمور دهشة مجيئها إلي ساحة السوق عند بزوغ يوم مشمس دون طفلها. لقد اختفى الطفل الصغير ولم يظهر له أثر. وراحت ايوكو ترقص وتمرح كأنها لم تكن ابدا أمًا طوال حياتها.

وحدث نفس الشئ في العام التالي، حيث حملت أيوكو ثانية وأنجبت طفلا ثم اختفى دونما سبب أو دون ان يترك اثرا.

ولكن حين حدث نفس الشئ للمرة الثالثة في العام الذي تلا ذلك، دعا شيوخ القرية إلى اجتماع طارئ، وفيه قرروا الوصل إلى سر هذا الموضوع. فقد ظنوا أن من المحتمل قيام شخصية شريرة باستغلال المرأة المجنونة البريئة المسكينة بهدف إنجاب زمرة من أولاد الزنا، ليباعوا في سوق رقيق الاطفال.

"زقد خرج الشيوخ بخطة تقضي بوجوب حضور كل ذكر عادى من القرية ممن يزيد على التاسعة من عمره اجتماعا خاصا بساحة السوق في يوم معين يحدد مستقبلا. وفي ذلك اليوم، يصطف كل الناس الذين يتجمعون في طابور واحد، ويهزون ارادفهم في رقصة غزل وهم يتحركون ويتواثبون مارين بأيوكو واحدا تلو الآخر. وكان الشيوخ على وعى تام بالطبيعة البشرية لهؤلاء الشباب. فقد علمتهم التجربة أن للحياة قوانين لا يفلت أحد من سطوتها حتى المجانين. قد يمنع الجنون أيوكو من ان تنسب بداية

حملها الي رقصات غزل مارستها ليلا مع أحد الرجال، كلن ثمة شئ آخر لا يستطيع حتي ستار الجنون المعتم ان يخفيه، الا وهو دافع الرقص نفسه الذي لا يقاوم، لقد كان الشيوخ علي يقين من أن أيوكو سوف تميز شريكها في الرقص، وأنها ودون إدراك منها لقيود العار والعيب سوف تثب علي قدميها للتيد في ساحة السوق خطوات رقص الغزل الذي أدته معه في الدغل المظلم، وحتي لو لم تكن أيوكو علي استعداد للذهاب الي هذا المدي، فإنه محتوم عليها وهي تميز رجلها، أن تتصرف بطريقة تؤدي الي فضح القرادة الطفيلي، وتمت الموافقة علي الخطة، وحدد اليوم.

لكن الحدث الكبير لم يتم، لأنه في الصباح المحدد له، ذهب أحد الفتيان الي كبير القساوسة وأدلي له باعترافه كاملا، وصاح أهل القرية.. اخصوا هذه القرادة!. اخضوا هذا الطفيلي. وراحوا كالاعصار يلاحقونه.

لكن عملية الخصي لم تحدث، لان الشاب قبل أن يمسكوا به شنق نفسه علي شجرة من أشجار حبوب الزيت في باحة أبويه، وتحت هذه الشجرة نفسها، وجدت أجداث الاطفال الثلاثة الموتي وقد سحقت رءوسهم بقطعة من حجر، ففي كل مرة كان يسرق الطفل في أثناء نوم أيوكو ويقتله، لأنه خشي أن ينسب اليه الاطفال بعد أن يكبروا ويشبوا عن الطوق عن طريق ما بينه وبينهم من تشابه، وحزن أبواه بقية أيام عمرهما، وماتا إثر هبوط قلبي حاد، لقد كان ابنهما الوحيد، وفي تلك الايام، كان للأولاد قيمة يعتد بها.

وإنني لسائلك الآن.. ما الذي يدعو إنسانا أيضا طاهر الذيل علي الاقل حتي لحظة الغواية التي وقعت فيها عيناه علي أيوكو الجميلة، ويبدو أنه انحدر من صلب أسرة اعتنقت ديانة ما اجنبية، لكنها لم تكن شديدة السوء بالرغم من ذلك، لقد كان ينتوي أن يكون نوعا من أنصاف القسس الذين يسمونهم وعاظا، يفسر العقيدة الجديدة ويشرحها، لا يرتفع الي مستوي قسيس، لكنه يكون رفيع المقام في العشيرة، الاول من طرازه في تلك القرية. وذكر كل الناس أنه سيكون صالحاً، لأنه يستطيع أن يصوغ كلمات علي الورق ثم يرددها بعد ذلك، وكانت المشكلة ان الواعظ وفقا لهذا الدين، غير مباح له اتخاذ أكثر من امرأة زوجا له، بل قيل إن هذا ينطبق علي كل فرد في العشيرة، وإني لسائلك .. اي نوع من الديانة هذه؟. إن الرجل مع زوجة واحدة فقط ليشبه طائرا بجناح واحد فحسب، فأي نوع من ذلك الطيران الذي يمكن أن يقوم به طائر بجناح وحيد دون أن يوهنه في عام واحد؟. كيف يمكن لطائر أن يعتبر نفسه طائرا إذا لم يقم بالطيران عبر كثير من الصحراوات ويشاهد الكثير من البحار، ويتناول الفاكهة من عدد كبير من البلدان، وذلك قبل أن يهلك وينفق؟.. والانسان كالطائر، يحتاج الي ريش جديد مع مرور الفصول، وعليه أن يعيش الحياة بكاملها قبل أن يصنع لنفسه نعشا، ويرقد فيه الرقدة الاخيرة، أي دين ذلك الذي يريد أن يقص جناحي الصقر؟. إن الإله الذي يقيد الرجل بامرأة واحدة طوال حياته، أمامه

الكثير مما يجب أن يتعلمه عن الرجولة، وأمامه كذلك أشياء كثيرة يجب أن يعرفها عن الأنوثة.

نحن هنا أمام شاب رقيق أنهي حياته بطرف حبل، لانه استخف بالاستجابة الاسرة للانوثة، فأنت كلما ارتشفت من إنائها ازددت عطشا، وكل ما ابتغاه الفتي، هو رشفة قليلة من أنوثة أيوكو، إنه لم يكن يريد أكثر من رقصة، لكن هذه الرشفة القليلة كانت كافية لان تفقده إدراكه للاتجاه الصحيح، لقد لفه حبل السحر، وإذا بالرقصة تؤدي الي رقصة تالية، ثم الي القتل، وأخيراً الي حبل في شجرة حبوب الزيت، ربما كان من الممكن أن يعيش ليصبح واعظا، وهو ما كان يجدر أن يقوم به، ومن يدري؟ قد كان من الممكن أن ينجح، لكنه ترك نفسه يحملق في ثديي أيوكو وفخذيها مرة، ولكن حملقته كانت أكثر مما ينبغي، وهذا كل ما يستغرقه الامر لاحداث الفرق بين خلاص الانسان ودماره.

إن المغزي الاخلاقي لهذه القصة يا صديقي الشاب، هو أن المرأة، حتي لو كانت مجنونة، بها من القوة ما يكفي لدمار الرجل، وفي مرة ثانية، حين تشاهد عذراء فاتنة كتلك التي تستحم في النهر، وتغريك كل استدارة في جسدها بان تدنو منها وتخفف من توترك، من الافضل لك ان تهرع الي بيتك وتسكب ملء كالاباش من نبيذ النخيل في عروقك، فهو سيسكرك، ولا يؤدي بك الي ان تشنق نفسك، ولهذا، إذا أردت أن تأخذ بنصيحة رجل عجوز يا صديقي الفتي، فعليك بالابتعاد عن الفتيات.

وحين انتهي الشيخ من رواية حكايته، تفل في النهر، وأبان عن أسنانه في ابتسامة مفعمة برائحة الدخان، وربت علي كتفي، ثم نهض وعصر طرف ذيل ردائه الجلدي الذي كان قد انغمس في الماء وامتص الكثير منه.

وفي هذه اللحظة أنهت العذراء الشابة استحمامها وخرجت من النهر ووضعت إزارها علي صدرها، ولما انتهت راحت تملأ سلتها بالكسافا التي التقطتها من الاعشاب المائية، ووضعت السلة فوق رأسها، ثم – وقبل أن أفكر فيمما كان يحدث – التفتت الي الرجل الكبير وابتسمت له في ألفه وقالت "أقادم أنت يا نا – نا.".

وكشر الشيخ عن أسنانه بطريقة توحي بالهيمنة، وأموما إليها برأسه وأجاب "أجل يا سمكتي الجميلة !. سألحق بك في التو ".

كدت أسقط من فوق قنطرة البامبو، وصحت في دهشة "أنتما الاثنان تعرفان بعضكما بعضا؟".

وأجاب العجوز وفي عينيه ومضة متنوعة المعاني " يقينا .. وإلا فبأية وسيلة أخري كان يتسني لي أن أمنع مصيبة تكاد أن تحدث؟.. إنها زوجتي".

"زوجتك!".

"لي في الحقيقة تسع زوجات، وهذه الزوجة هي أحدثهن، نحن في طريقنا لزيارة والديها، هناك فوق التل تماما، وقد غادرت البيت مبكرة عني لتنقع جسدها قليلا في النهر أن آتي وأصعد بها، فاتنة ونضرة، هه؟.. حسن. الشمس علي وشك المغيب، فوداعا يا صديقي الصغير".

وتقدم بضع خطوات، ثم التفت الي مبتسما وغمز لي بعينيه وقال "لا داعي لأن تبدو هكذا مشدوها يا صديقي. ألا يمكن أن تأخذ الامر علي سبيل المزاح؟ .. إنك لا يمكن أن تلوم إنسانا يقوم بحماية ما يملك. أليس كذلك؟. حين هبطت لاخذ زوجتي ورأيت الطريقة التي تحملق فيها بعينيك، أدركت أنه لا بد لي من أن أفعل شيئا وبسرعة لأمنعك من اتخاذ خطوة ما. ومع ذلك، يجب أن تقر بأنها كانت قصة جذابة. والناس لا يروون الحكايات هذه الايام بمثل هذا الاسلوب".

وهدر النهر وانطلق يضحك فوق الجرف، وقهقهت الريح في السماء. وكنت مسرورا لعدم وجود شهود يمكن أن يقصوا علي القادمين فيما بعد كيف خدعني هذا الشيخ العجوز. لم يكن حولي بالطبع شاهد سوي النهر الذي يضحك ما شاء له أن يضحك، لكنه لا يستطيع أن يتكلم.

وفيما كنت أراقب الشيخ المسن وهو يختفي فوق التل مع زوجته الشابة، لم أتمالك إلا أن أعجب ببراعة هذا العجوز البطئ بطء السلحفاة، والذي فعل ذلك بخيال ابتكاري بديع، ونجح فيما أراد، وهذا ما قد يفعله من هم أدين

منه بالعضلات والقوة، لكنهم يفشلون. لقد حمي زوجته الشابة من نزوات وإغواءات شاب مفتون. ومازال يشق علي أن أتصور أن هذه الشريحة الجميلة من الانوثة الافريقية كانت كلها له هو. وكانت هي واحدة من تسع!. وكان لابد من أن أهز رأسي احتراما. إن تسع زوجات يمثلن مجموعة من ساحرات لا يمكن أن تتقي سحرهن، ومع ذلك لا يبدو النسر العجوز شديد الاجهاد. إنني أحب الرجال المسنين، أو لست تحبه أنت؟. إنهم يجعلونني أفكر في كثير من الامور التي كانت جميلة يوما ما، ثم ولت عنا.

يحاول كتابنا أن يطوف بنا ويقدم النصح من خلال الحكاية،بداية القصة قوية تحوى كثيرا من التعابير والتشبيهات ،هنا النهر الذى يرأى الكثير من البشر وخاصة النساء اللاتى لايخجلن من التعرى فى النهر،وقد جعل من النهر كائن غير قادر على الكلام.

وأن تطرق الكاتب الى وصف لجسد المرأة،والاستفاضة فى ذلك،بطبيعة البيئة الافريقية.وأن وجد هذا الوصف فى الشعر الصريح للشعراء العرب ولكن نهى الاسلام عنة.

وقد استخدم الكاتب التشبيهات كطريق لجعل القراء يستمر فى متابعة قصتة،وبعدها يدلف بنا الى فن الحكاية الشعبية التى برع فيها أدبائنا الافارقة،عند حضور العجوز الذى أستفاض فى حكايتة التى طعمها ،أوبى

ب. إجبونا بشيء من التشويق ،بتعدد قتل أطفال الجميلة وأيضا من عدم معرفة سبب حملها المتكرر .

واجتماع الشيوخ من خلال الرقصة التى تقام فى السوق لمعرفة من واقع أيوكو وتوقيع عقوبة الخصى.وتنتهى القصة بعدها بشنق الشاب نفسة فى الصباح

وفى نهاية القصة يفاجئنا الكاتب بأن العجوز ماهو الا زوج السيده التى تستحم بالنهر،الذى حاول تقديم نصيحة له بعدم التقرب من الفتيات حتى لايقع فى الزنا،

فالقصة تحوى الكثير من التشويق والمفاجئات التى تمتع القارئ وتجبره على استكمال سردها.

والقصة تحتوى على شخصيتين رئسيتين هما العجوز والشاب ،بالاضافة الى المرأة زوجة العجوز .

٣_الكاتب النيجيري أموس توتيولا (Amos Tutuola) وقصته "السيد كامل الأوصاف"

يعتبر الكاتب النيجري آموس توتيولا واحدا من أغزر كتاب أفريقيا انتاج. وقد ولد توتيولا فى أبيكوتا (Abeokuta) بغرب نيجيريا عام ١٩٢٠م، وفيها أتم تعليمة الابتدائى الذى استغرق ست سنوات، وأتبعه بتدريب متقدم فى الحدادة.

وعلى الرغم من تعاليمه الأساسية القصيرة، أكسبته كتبه الثلاث الأولى المكتوبة باللغة الإنجليزية شهرة واسعة دوليا ومحليا، وانضم إلى هيئة الإذاعة النيجيرية في عام ١٩٥٦ كأمين مخزن في إبادن (Ibadan) نيجيريا. كما أنه من أحد مؤسسي نادي (MBARI) وهو منظمة للكُتّاب والمؤلفين والناشرين.

في عام ١٩٧٩، حصل على زمالة بحثية كزائر في جامعة إيفي (Ife) (وهي الآن جامعة أوبافيمي أوولوو) في غرب نيجيريا، وفي عام ١٩٨٣ صار عضوا بالانتساب لبرنامج الكتابة الدولي في جامعة لُوَا.

توفي توتيولا في ٨ يونيو ١٩٩٧ من ارتفاع ضغط الدم والسكري، وعمره ٧٧.

من مؤلفاته الادبية:

– شريب نبيذ النخيل١٩٥٢

– حياتى فى غابة الاشباح١٩٥٤

– سيمبى والة الغابة المظلمة١٩٥٦

– القناصة الافريقية الشجاعة ١٩٥٨

– امرأة الدغل الهوجاء ١٩٦٢

– أجاييى وفقره الموروث ١٩٦٧

السيد كامل الأوصاف (The Complete Gentleman) :

هب قصة قصيرة لآموس توتيولا، حيث وصف فيها مخلوقا غريب الشأن.

كان المخلوق سيدا جميلا كامل الأوصاف ، يرتدي أجمل الملابس وأغلاها ثمنا .وكانت أعضاء جسمه جميعها كاملة ، فهو طويل القامة ،لكنه متين البنيان .وحين حل ذلك السيد بالسوق في ذاك اليوم ، كان يمكن أن يباع علي أقل تقدير بألفي جنيه ‘لو أنه كان سلعة من السلع أو حيوانا يباع .وعندما دخل هذا السيد إلي السوق يوم ذاك ،ورأيته في الوقت نفسه تلك السيدة ، لم يكن بوسعهاأن تفعل شيئا سوي أن تسأله عن المكان الذي يقيم فيه . لكن هذا السيد الأنيق لم يجيبها عن سؤالها ولم يدن منها إطلاقا .إلا أنها حين لاحظت أن السيد الجميل أو كامل الأوصاف لم يصغ اليها ،أهملت سلعها وأخذت تراقب تحركاته في السوق ‘وتركت هذه السلع دون أن تبالي ببيعها .

وشيئا فشيئا راح السوق يغلق أبوابه في ذلك اليوم ، ثم أخذ الناس جمعا ممن كانوا بالسوق ينصرفون الي غايا تهم وما إلي ذلك .

وراح السيد كامل الأوصاف كذلك ينصرف إلي حال سبيله . لكن لما كانت هذه السيدة تتعقبه في السوق طوال هذه الفترة فقد رأيته وهو ينصرف كالآخرين إلي غايته ،وراحت تتبعه السيد كامل الأوصاف إلي مكان مجهول لكنها اثناء تعقبها للسيد كامل الأوصاف طوال الطريق ، كان يطلب منها أن تعود أدراجها وألا تتعقبه ، بيد أن السيدة لم تصغي لما كان يقول . فلما تعب السيد كامل الأوصاف من تكرار مطالبته لها بأن تعود إلي مدينتها أو تكف عن تعقبه ، تركها تلاحقه

لا تتعقب جمال رجل مجهول

يبد أنهما عندما قطعا حوالي اثنا عشر ميلا من السوق ، تركا الطريق اللذي كانا فيه يسيران ،وبدآ يمشيان داخل غابة لا نهاية لها ولا يسكنها سوي المخلوقات الرهيبة

وبينما كانا مايين في هذه الغابة التي لا نهاية لها ن اذا بالسيد الذي كان بالسوق كامل الأوصاف يبدأ في رد اعضاء جسده المستأجرة إلي أصحابها وينقدهم أجرة هذه الأعضاء فحين وصل غلي المكان الذي استأجر منه القدم اليسري ، انتزعها وأعطاها غلي مالكها وسدد له النقود ، وظلا بعد ذلك سائرين . وحين وصل إلي المكان الذي استأجر منه القدم اليمني

انتزعها وأعطاها للمالك ودفع له الأخرة الآ وقد ردت القدمين إلي صاحبيهما ، بدأ السيد يزحف علي الأرض ، وعندئذ أرادت السيدة العودة إلي مدينتها أو إلي ابيها ، كن المخلوق المخيف والغريب أو السيد كامل الأوصاف لم يسمح لها بالعودة أو الرجوع إلي مدينتها أو إلي أبيها ثانية ، ومن ثم قال لها لقد طلبت منك الا تتعقبيني قبل أن ننحرف إلي هذه الغابة التي لا نهاية له والتي تنتمي إلي المخلوقات المخيفة والغربية والآن وقد صرت سيد غير كامل الاوصاف منقوص الجسد تردين اللعودة هذا أمر لا يمكن أن يحدث ابدا إنك بذلك تخذليننني ولما اوغلا في السير ووصلا إلي المكان الذي استأجر منه معدته وضلوعه وصدره وغيرها انتزعها وناولها للمالك ونقده الأجر.

لم يتبقي الآن لهذا السيد أو هذا المخلوق المخيف سوي الرأس وكلا الزراعين مع الرقبة ومن ثم لم يستطع ان يزحف كما كان يزحف من قبل بل أنه مضي يثب كما يثب ذكر الضفدع ز وسرعان ما أصاب الدوار هذه السيدة حين رأت أن كل أعضاء هذا السيد الذ رأته في السوق كاملا كانت قسمة مع اخرين أو انه كان يستأجرها ثم يردها إلي أصحابها بدأت تبذل كل جهدها لتعود إلي مدينة ابيها لكن هذا المخلوق المخيف لم يسمح لها بذلك ابدا ولما بلغ المكان الذي استأجر منه كلا الذراعين انتزعهما وأعطاهما للمالك وسدد له الأجر وظلا ماضيين في هذه الغابة التي لا

نهايه لها حتي بلغ المكان الذي استأجر منه الرقبة فانتزعها وأعطاها للمالك وسدد اجرتها كذلك

_السيد كامل الاوصاف يتقلص الي رأس.

الان تقلص هذا السيد كامل الاوصاف الي رأس . وحين بلغا المكان الذي استأجر منه الجلد واللحم اللذين يغلفان الرأس ، أعادهما للمالك وسدد له الاجرة ، وبذلك تقلص هذا السيد الذي كان كامل الاوصاف بالسوق الي جمجمة ، وبذلك بقيت هذه السيد مع جمجمة فحسب . وحين رأت السيدة هذا السيد النجيب وقد صار جمجمة ، بدات تصاب بالدور لكن الجمجمة قالت لها انها لو ارادت أن تموت فسوف تموت ومع ذلك ستتبعها الي بيتها بيد انها في الوقت الذي كانت تقول هذا كانت تطن بصوت مفزع وارداد الطنين وحشية للغاية بحيث لو أن شخصا كان علي بعد ميلين ، ماكان علية أن يبذل جهدا في الاصغاء كي يصل الصوت الي مسامعة ولهذا بدات هذه السيدة في الفرار داخل تلك الغاية نجاه بحياتها لكن الجمجمة طاردتها وادركتها ثم تجاوزتها بمسافة لاتزيد علي أربع ياردات لانها كانت شديدة الفطنة والرشاقة ، حيث انها مجرد جمجمة ، ويمكنها القفزة مسافة مسافة ميل في الثانية قبل أن تهبط الي الارض . وعلي هذا النحو أدركت السيدة . فعندما أخذت السيدة في الهروب نجاه بحياتها ، جرت الجمجمة بسرعة وسبقتها واعترضت طريقها وكانها كتلة من خشب .

تبعت هذه السيدة ذلك الجمجمة حتي بيتها . ولم يكن ذلك البيت سوي حجر تحت الارض . ولما بلغتاه ، دخلت الجمجمة والسيدة من خلفها ، لكن يسكن ذلك الحجر سوي جماجم وفي الوقت الذي دخلتا فيه الحجر قامت الجمجمة بربط صدفة حول عنق هذه السيدة بنوع معين من الحبال ، ثم قدمت لها بعذ ذلك ضفدعا كبيرا لتتخذه مقعدا تجلس علية ، ثم أطلق الجمجمة صفيرا لجمجمة من نوعها تتولي حراسة هذه السيدة وتحول بينها وبين الهروب . ذلك ثم ذهبت بعد ذلك الي الفناء الخلفي ، حيث كانت تدري سلفا ان السيدة ستحاول الفرار من الحجر . ثم ذهبت بعد ذلك الي الفناء الخلفي ، حيث كانت أسرتها تقضي النهار هناك حتي هبوط الليل .

وفي يوم من الايام حاولت السيدة الهرب من الحجر ، فأطلقت في نفس الوقت الجمجمة الحارسة صفيرا لبقية الجماجم التي كانت بالفناء الخلفي ، فادفعت جمعيا منطلقة الي المكان الذي تجلس فيه السيدة فوق ذكر الضفدع ، وهكذا أدركوها . وكانت الجماجم جميعا في اندفاعها من الفناء الخلفي تتدحرج في اندفاع فوق أرض صلبة . وبعد برميل عيلها أعادوها لتجلس فوق نفس الضفدع كالمعتاد . ولو أن الجمجمة التي تراقبها استسلمت للنوم وأرادت السيدة الهرب ، فأن، الصدفة المربوطة حول عنقعا تطلق انذار بصوت مفزع يوقظ الجمجمة الحارسة من نومها في الحال ، وعئدئذ تندفع بقية أسرة الجمجمة قادمة من الفناء الجارجي الوفا نحو السيدة لتسالها في صوت غريب مفزع عما كانت تريد القيام به .

بيد أن السيدة لم يكن باستطاعتها الكلام اطلاقها ، لانها صارت بكماء في نفس اللحظة التي ربطت فيها الصدفة حول عنقها .

_ينبغي علي أبي الالهة العثور علي مكان ابنة رئيس المدينة

الان عندما سالني والد السيدة عن اسمي أخبرتة أن اسمى هو ابو الالهة علي فعل أى شي في هذه الدنيا حينئذ قال لي لو أنني استطعت العثور علي مكان ابنتة واحضارها الية فسيخبرني حينذاك بمكان ساقي نبيذ نخيلي . ولما قال لي ذلك أخذت أتواثب فرحا لانة وعدني بابلاغي عن مكان ساقي نبيذي . وواقفت علي الفور . ولم يكن والد هذه السيدة وامها يعرفان علي الاطلاق مكان ابنتهما ، ولكن تناهت الي سمعيهما أنباء عن ملاحقة تلك السيدة لرجل كامل الاوصاف في السوق ، وحيث انني " أبو الالهة القادر علي فعل أي شي في هذه الدنيا " فقد ضحيت عندما هبط الليل بعنزة تقريبا لجوجو الخاص بي .

وفي الصباح الباكر أرسلت في طلب أربعين دنا من دنان نبيذ النخيل وبعد احتسائها جميعا بدأت التحححري عن مكان السيدة ولما كان اليوم هو يوم السوق ، فقد بدات التحري من السوق . وحيث انني رجل أتمتع بقوة سحر جوجو، فقد عرفت كل صفوف الناس في ذلك السوق . وحين بلغت الساعة التاسعة صباحا علي وجة الدقة جاء الي السوق ثانية السيدة كامل

الاوصاف نفسة الذي تعقبتة السيدة ، وأدركت حين شاهدتة أنة مخلوق غريب ومفزع .

السيدة لاتلام علي ملاحقتها الجمجمة بوصفتها سيدا كامل الاوصاف

لم أستطع مطلقا أن ألوم السيدة علي تعقبها الجمجمة الي مسكنمها حيث كانت سيدا كامل الاوصاف . ذلك لو أني كنت سيدة لتعقبته بلاشك الي أي مكان يذهب الية . ولكن بما أني مازلت رجلا فاني أحقد علية لسبب أقوي من هذا ذلك أن هذا السيدة لو ذهب الي ساحة ٠

حرب . فلن يقتلة العدو أو يأسرة يقينا . ولو شاهدة قاذفو قنابل في مدينة كان لابد من قصفها ، فانهم لن يلقوا بقنابلهم في أثناء وجوده وحتي لو القوا بها ، فان هذه القنابل لن تنفجر حتي يغادر هذا السيد تلك المدينة ، في ذلك بسبب جمالة . وفي الوقت الذي أبصرت فية هذا السيد بالسوق . في ذلك اليوم ، كان كل مافعلتة هو أن رحت أتعقبة في السوق ، وبعد أن تفحصتةعدة ساعات هرعت الي ركن هناك وأخذت أبكي لبضع داقائق ، ذلك أني فكرت بيني نفسي متسائل لماذا لم أخلق مثلة ليس سوي جمجمة فحسب . لكني حمدت اله علي أ، خلقني عاربا من الجمال . وعلي هذا عدت الية في السوق ، وان ظلت مأخوذاا بجمالة .ثم حين بدأ السوق يغلق أبوابة في ذلك اليوم ، وعندما أخذ كل واحد أو واحدة في مغادرة السوق ، كان هذا السيد يغادر هو الاخر ، فتعقبته لاعرف المكان الذي يقيم فيه .

_التحري عن مسكن أسرة الجمجمة .

حين ارتجلت معه مسافة تبعد حوالي اثني عشر ميلا عن السوق ، ترك السيد الطريق الذي كنا تسير فيه ، وانحرف الي الغابة التي بلانهاية ، وأنا وراءة أتعقبة . ولاني لم أكن أريدة أ، يراني وأنا الاحقة ، فقد استخدمت حينذاك واحدا مما لدى من الجوجو ، فحولني الي سحلية ، ورحت أتعقبة وأنا علي هذه الصورة . ولكن بعد أن ارتحلت معه مسافة تقرب من خمسة وعشرين ميلا داخل هذه الغابة التي لانهاية لها ، بـأ ينتزع كل أعضاء جسده ويردها الي أصحابها ويسدد لهم الاجرة ، ولم يبق منه سوي جمجمة .وبعد أن ارتحلت معها خمسين ميلا أخري في هذه الغابة ، وصلت الي مسكنها ودخلتة ، فدخلتة معها كذلك علي أساس أني سحلية . وكان أول شئ فعلتة حين دخلت الحجر (البيت) أن ذهبت مباشرة الي المكان الذي كانت فية السيدة وأنا أتبعها ، وهنا رأيت السيدة تجلس فوق ذكر ضفدع ، مع صدفة مربوطة حول عنقها ، وقد وقفت وراءها جمجمة كانت تحرسها . وبعد أن رأت هي أن السيدة موجودة ، ذهبت الي الفناء الخلفي ، حيث كانت تشتغل أسرتها كلها .

_عمل المتحري المدهش في بيت أسرة الجمجمة

حين شاهدت هذه السيدة ، وبعد أن مضت الي الفناء الخلفي الجمجمة التي جاءت بالسيدة الي ذلك الحجر ، أعني تلك الجمجمة التي تعقبتها من

السوق الي ذلك الحجر ، حولت نفسي الي انسان كما كنت من قبل ، ثم تحدثت الي السيدة ، انها لم تستطع أن تبادلني الحديث اطلاقها ، وبينت لي فحسب أنها في وضع خطير . وكانت الجمجمة التي تحرسها بصافرتها قد استسلمت للنوم في ذلك الوقت .

وأدهشتني عندما عاونتها علي النهوض من فوق الضفدع الذي كانت تجلس فوقة تلك الضوضاء الغريبة التي انبعثت في الحال من الصدفة المربوطة حول عنقها ، فاستيقظت الجمجمة الحارسة عند سماعها الضوضاء وأطلقت صافرتها لبقية الجماجم ، فاندفعت جمعيا عندئذ الي المكان وأحاطت بي وبالسيدة . وحالما شاهدتني هذه الجماجم مع السيدة ، جرت واحد ة منها الي حفرة تبعد كثيرا عن شاهدتني عن تلك البقعة التي كنا فيها ، وهي حفرة مليئة بالاصداف ، والتقطت الجمجمة الصدفة منها وجرت بعد ذلك نحوي . وأراد هذا الحشد كله ربط الصدفة حول عنقي كذلك . بيد أني حولت نفسي الي هواء قبل أن يتمكن هذا الحشد من القيام بذلك . ولم يستطع اقتفاء أثري . لكنى كنت أبصري هذا الحشد . وأيقنت أن الاصداف التي في تلك الحفرة هي مصدر قوتها ، وأنها تقهر قدرة أي كائن بشري فيما لو ربطت حول عنقة ، رجلا كان أو امراة كما تصيب الانسان بالخرس . وبعد ما يربو علي ساعة من تبددي في الهواء ، عادت كل هذ الجماجم الي الفناء الخلفي ، ولم تبق سوي الجمجمة الحارسة .

وبعد عودتها الي الفناء الخلفي تحولت الي انسان كالمعتاد ، ثم أخذت السيدة من فوق الضفدع . لكن في الوقت الذي لمستها فيه ، أخذت الصدفة المربوطة حول عنقها تصبح ، وكان يمكن لهذا الصياح أن يصل الي مسامع شخص علي بعد أربعة أميال دون أن يبذل جهدا في الانصات الية قبل أن يبلغة الصوت . وفي الحال سمعت الجمجمة الحارسة ضجيج الصوت ، ورأتني وأنا أخذ السيدة من فوق الضفدع فأطلقت صافرتها لبقية الجماجم التي كانت في الفناء الخلفي .

وحالما سمعت أسرة الجمجمة الصافرة التي انطلقت من الحارسة ، اندفعت الي المكان الذي نحن فيه . وقبل أن تصل الية كنت قد غادرت الحجر الي الغابة . ولكن قبل أن أمضي في الغابة حوالي مائة ياردة ، اندفعت الاسرة من حجرها الي الغابة وكنت ماأزال أركض مبتعدا بالسيدة ، وكانت هذه الجماجم وهي تطاردني في الغابة تتدحرج علي الارض كالاحجار الكبيرة ، كما كانت تطن أيضا بصوت مفزع . ولكني حين رأيت أنها وشك اللحاق بي ، أو لي أنني ظللت أجرى هاربا علي هذا النحو ، فانها سرعان ما ستمسك بي يقينا ، فقد قمت بتحويل السيدة الي قطيطة ووضعتها في جيبي ، ثم حولت نفسي الي طائر صغير جدا ، والذي يمكن بانه مثل " العصفور " في اللغة الانجليزية

بعد ذلك طرت بعيدا عن المكان . ولكن في أثناء طيراني في الجو ، ظلت الصدفة المربوطة حول عنق السيدة تصدر ضجيجا . وحاولت جهدى أن

أوفق هذا الضجيج ، الأأ، محاولاتي ذهبت أدراج الرياح . وحين بلغت منزل السيدة حولتها الي سيدة كما كانت من قبل كما حولت نفسي كذلك الي انسان ولما رأي أبوها أنني عدت بابنتة الي البيت ، شعر بسعادة غامرة وقال لي بالتالي " أنك (أبو الالهة) كما سبق وقلت لي "

ولكن في الوقت الذي كانت فية السيدة بيتها ، لم تكف الصدفة المربوطة حول جيدها عن أصدار الضجيج ولو لمرة واحدة ، ولم تكن تستطيع التحدث مع أي شخص ، لكنها أبانت عن سعادتها البالغة بوجودها في بيتها . لقد أحضرت الان السيدة ، بيد أنها لم تكن قادرة علي الكلام أو تناول الطعام أو حل وثاق الصدفة من حول عنقها ذلك أن ضجيج الصدفة المزعج لم يكن يتيح لاحد أن يستريح أو ينام علي الاطلاق .

_مازال أمامنا مهام أعظم

بدأت الان في قطع حبل الصدفة من حول رقبتها ومساعدتها علي أن تتكلم وتأكل ، لكن جهودى كانت بلا طائل . وأخيرا بذلت ما في وسعي لقطع حبل الصدفة ، وكانت النتيجة ان توقف الضجيج فحسب ، لكني عجزت عن انتزاع الصدفة من حول عنقها .

وحين رأي أبوها كل ما بذلت من عناء شكرني وعاد يقول ثانية ، بما أنني أطلق علي نفسي " أبا الالهة القادر علي فعل أي شئ في هذه الدنيا " فينبغي أن أتم بقية العمل المطلوب . عند ذلك شعرت بخزي شديد ، وقلت

لنفسي أنني لو عدت الي جحر أو بيت الجماجم فقد تقتلني . ثم أن الرحلة الغابة خطيرة دائما ، وأنا والاستفسار مرة أخري الذهاب مباشرة الي الجماجم في جحرها السيدة وجعلها تتكلم وتأكل .

العودة الي بيت أسرة الجمجمة

في اليوم الثالث من أحضارها السيدة الي بيت أبيها ،عدت الي الغابة التي لانهاية لها لاجراء مزيد من التحري . وحين لم بصري علي الجمجمة نفسها التي تعقبتها السيدة من السوق في هئية سيد كامل الاوصاف الي جحر أو بيت أ سرتها . وحالما رأيتها علي نفس الحال الذي شاهدتها علية من قبل ، تحولت الي سحلية ، وتسلقت شجرة كانت علي مقربة منها .

وأمام نباتين اثنين توقفت الجمجمة ، ثم قطفت من النبات المواجه لها ورقة منفردة عكسية ، وأمسكت الورقة بيمناها وقالت " بما أن هذه السيدة قد انتزعت مني ، فانها لن تتكلم أبدا مالم تأكل هذه الورقة المنفردة العكسية " وألقت بالورقة الي الارض ، ثم قطفت بيسراها ورقة أخري منفرده مركبة وقالت مالم تقدم هذه الورقة المنفردة المركبة للسيدة لتأكلها ، فلن تنحل الصدفة التي حول عنقها أبدا ، وستظل تصدر ضجيجا مفزعا الي الابد . وألقت بالورقة في نفس البقعة بعد قولها هذا ، ثم راحت تبتعد عني وثبا (لحسن الحظ أني كنت في هذا المكان حين فعلت ما فعلتة ، وشاهدت البقعة التي ألقت فيها كلتا الورقتين ، كل علي حدة) . وهكذا بعد أن

ابتعدت عني كثيرا تحولت الي انسان كما كنت من قبل ، وذهبت الي البقعة التي ألقت فيها بالورقتين أياهما ، والتقطتهما وعدت بهما الي بيتي في الحال .

وحالما وصلت الي البيت ، طهوت الورقتين ، كل ورقة علي حدة ثم قدمت واحدة منهما الي السيدة لتاكلها ، ولشد ما أدهشني أن بدأت السيدة تتكلم في الحال ، فأعطيتها بعد ذلك الورقة المركبة لتأكلها هي للاخري . وحالما أكلتها انحلت عقدة الصدفة التي ربطتها الجمجمة حول عنقها من تلقاء نفسها ، بيد أنها اختفت في الحال . وحين رأي أبواها صنيعي العجيب الذي قمت به من أجلهما ، أخضرا لي خمسين دنا من نبيذ النخيل ، وقدما لي السيدة لتكون زوجا لي ، وغرفتين في منزلهما أقيم فيهما مع زوجتي . وهكذا أنقذت السيدة من سيد السوق كامل الاوصاف الذي تقلص بعد الي جمجمة ، وأصبحت السيدة زوجا لي منذ ذلك اليوم . وكانت هذه هي الوسيلة التي حصلت بها علي زوجة .

٤_ويلتون سانكا وُولو" (Wilton G. S. Sankawulo) وقصته "أدهى من أبيه"

كان سياسيا ومؤلفا من ليبيريا. ولد بمقاطعة بونج بليبيريا عام ١٩٣٧،حصل على درجة البكالوريوس فى التربية من كلية كاتنجتون بليبيريا،ثم واصل دراسته فى الولايات المتحده الامريكية ليحصل على درجه

الماجستير فى اللاهوت من معهد لوثر الباسيفيكى اللاهوتى ،ثم على درجة أخرى فى الفنون الجميلة من جامعة أيوا.

نشر له العديد من القصص والمقالات فى دوريات ليبيرية وأمريكيه.وفى منتصف السبيعينات من القرن الماضى عمل مساعدا خاصا لوزارة الاعلام والشئون الثقافية والسياحة فى مونروفيا،وقد جمع عددا من الحكايات الليبيرية،ونشرتها له سلسلة كتب هاينمان.

وهذه أحدى قصصة القصيرة(أدهى من أبيه):

عاش في يوم من الايام زعيم يدعي " جبور " ، وكان لهذا الزعيم زوجات كثيرات ، انجبن له كثيراً من البنين ، وقد اعتاد ان يطلق اسمه علي كل ابن يرزق به ، وهو تصرف كان منافياً للعرف والتقاليد ، ذلك ان كل طفل كان لا بد من ان يسمى باسم خاص به عند مجيئه للدنيا . وكان من الممكن ان يسمى الطفل باسم احد من اسلاف الاجداد ، ولكن حتى هذا التصرف كان امراً شديداً الندرة.

وكان اهالي البلدة يتساءلون . كيف تصل به الجسارة والوقاحة الي الاقدام علي فعل شئ كهذا ؟ " .

اهو في طريقه الي الجنون ؟

ام مخز ان يقدم زعيم علي عمل كهذا، لكن لم يمض وقت طويل حتى اعتاد الناس الامر ، وصبح الرأي السائد بينهم ان ليس من المفروض ان يلتزم الزعيم باتباع كل العادت والتقاليد باي حال من الاحوال بيد ان الجانب المربك الوحيد الذي كان علي كل فرد من الناس بمن فيهم الزعيم نفسه احتماله ، هو انك ما من مرة تنادي فيها علي واحد من اولاد الزعيم ، الا وهرعوا جميعاً إليه . و لقد حل كثير من الناس هذه المعضلة بالتأكد بادئ الامر من انهم شاهدوا الولد المعين الذي يريدونه ، ثم يشيرون اليه صراحة وهم ينادونه . غير ان ما كان يمتع الزعيم رغم هذا الارتباك ، رؤيته اوتار قلبه – وهو يعتبرهم كذلك يقبلون عليه دفعة واحدة ، كلما نادى اسم جبور.

بيد ان قلة من الكبار المحافظين اعترضوا علي هذا التصرف الشاذ من قبل الزعيم ، وحذروا مما قد يؤدي اليه من كارثه ، ذلك ان الانسان لا يمكنه ان ينتهك الاعراف القبلية دون ان يفلت من العقاب.

وحدث ان حملت اخيراً احدث زوجات الزعيم بابن آخر ، وكان قد نال هذه الزوجة هدية من بعض الربوع . وعقدت الدهشة السنة القابلات لنزول الطفل من بطن امه بكيس ليفي اسود في نصف حجم قبضة اليد يتدلي من

رقته . وحاولت احدى القابلات انتزاع الكيس من رقبة المولود والقائه علي الارض ، لكن الطفل قال لها " إياك ان تفعلى هذا " .

وازدادت القابلات خوفاً وقلقاً وتساءلن : اهذا كائن بشري حقاً ، أم روح شريرة تشكلت في صورة ذلك الطفل المولود ؟ . . أينبغي عليهن السماح له بان يعيش؟ واستشرن الزعيم في امره ، فاستشار هو بدوره كبير اطباء القرية ، الذي ابلغه بعد الرجوع الي طلاسمه ان ذلك الطفل مقدر له ان يكون عظيماً ، وانه سوف يكون طبيباً كبيراً ، وستكون حياته مفخرة لأهل بيته ، وبهذا سمح للطفل ان يبقى علي قيد الحياة . وفي المساء احضرته القابلات من الدغل الي الزعيم ملفوفاً في اوراق اللابا .

وتلقي الزعيم الطفل بين ذراعيه ، واخذ ينظر اليه مبتسماً وقال اخيراً وهبني الاسلاف نموذجاً يحتذى . إنك يا عزيزي الأوحد ستكون مفخرة لأهل بيتي . وحين تكبرسوف تعني بعظامي البالية وتتزعم الاسرة ، وستكون اعظم من كل جبور في هذا البيت .

واعترض الطفل بحدة قائلاً " لا تطلق علي اسم جبور " .

ورغم ان الزعيم كان قد عرف من قبل بان الطفل في مقدروه ان يتكوم ، فإن هذه هي المرة الأولى التي يشهد فيها حالة كهذه . وتملكه الخوف ، لكنه نجح في ان يبقى هادئ الاعصاب.وسأل الطفل في قلق " وما الاسم الذي ينبغي علينا ان نطلقه عليك ؟ " .

فأجاب الطفل في غلظة ان اسمي هو . . أدهى من ابيه " .

ورد الزعيم الطفل الي احدى القابلات وابتعد في هدوء ، قلقاً مثاراً . انه يمكنه ان يتقبل قدرة الطفل من الكلام وكذلك الكيس الذي يتدلى من رقبته علي انهما امران طبيعيان ، ذلك ان رجال الطب ، كما شهد كبير الاطفال ، ليسوا كغيرهم من الناس . فحياتهم منذ ولادتهم وحتى مماتهم تكتنفها ظروف غريبة وفريدة . لكن ادعاء طفله في نفس يوم ولادته بأنه ادهى منه ، ورفضه لاسمه ، اهانة لا يمكن ان يغفرها له . إنه رجل شديد الصرامة ، لكن كيف يتأتي له ان يعاقب طفلاً في اليوم الأول من عمره ؟ . . وأبقى علي الطفل وامه في دراهما ، وأقام هو بعيداً عنهما قدر استطاعته .

ومضت السنون وكبر ادهى من ابيه واصبح صبياً كامل النمو . وفي يوم من الأيام قرر الزعيم اجراء اختبار لكل اولاده ، ليكتشف ايهم اشد دهاء في الواقع . فنادي اولاده الآخرين وقال لهم :

" أخوكم ادهى من ابيه يدعي انه مفرط في الدهاء ، بل هو يدعي في حقيقة الامر انه ادهى منى . واني لأود ان اجرى لكم يا اولادي سلسلة من الاختبارات لأكتشف من الداهية فيكم حقاً ، فأنا لا أريد ان اسير وراء ادعاءات " .

وطلب الرجل من اولاده جميعاً ان يصنعوا اقواساً وسهاماً ويذهبوا الي الغابة ويفتشوا عن فئران فيها واصطيادها . ومن يفشل في جلب فأر فسيعد اقل الجميع دهاء ولسوف يتخلف عن اخوته .

وسيعقب ذلك اختبار آخر وهكذا ، إلي ان يتحدد من هو اكثر الأولاد دهاء.

وعاد الابناء من الغبة وقد جلب ادهى من ابيه سنجاباً لوالده ، في حين جلب اخوته فئراناً . فقال له الزعيم " أحسنت صنعاً ، وتجاوزت توقعاتي . ولكني اعتقد ان الأولاد الآخرين قادرون علي عمل نفس الشئ أريد منكم جميعاً يا اولادي ان تحضروا لي سناجب في الغد".

وفي اليوم التالي احضر ادهى من ابيه قرداً لوالده ، بينما اء اخوته سناجب . فقال له الزعيم :

احسنت صنعاً وتجاوزت توقعاتي مرة ثانية . ولكني اعتقد ان الأولاد الآخرين يمكنهم القيام بنفس العمل . اريد منكم جميعاً يا ابنائي ان تحضروا لي في الغد جثث قرود " .

وفي اليوم التالي احضر ادهى من ابيه ظبياً ، في حين ان اخوته لم يجلبوا شيئاً . فقال له الزعيم :

احسنت صنعاً ، ولقد اثبت بما لا يدع مجالاً للشك انك اكثر من اخوتك دهاء، ولسوف اجرى لك اختباراً آخر ، فإذا اجتزته آمنت بأنك ادهى منى . والمطلوب منك يا ولدي ان تأتي لي في الغد بثعبان عاصر ،على ان يكون هذا الثعبان حياً".

وقبل ادهى من ابيه التحدي ، ووعد بإحضار الثعبان العاصر الحي في اليوم التالي . لكن أمه انتحت به جانباً ونصحته بالتخلي عن هذا التحدي وقالت له ما الفائدة اللتي ستجنيها من محاولة البرهنة علي انك ادهى من ابيك ؟ . . انك كل ما لي في هذا الوجود " . ثم واصلت في توسل " رجوتك يا ولدي الا تلقي بنفسك الي التهلكة ، فالثعبان العاصر من اشد المخلوقات خطورة في الدنيا ، اذ يمكنه افتراس ايل في ضعف حجمك " .

فقال لها ادهى من ابيه " لا تقلقي يا امي . خذي هذا الكيس الليفي " ، وانتزع الكيس من عنقه وناولها اياه . وكانت هذه هي المرة الأولي التي ينتزع فيها هذا الكيس من رقته . ثم قال لها " حين امضى الي الغابة ، عليك ان تداومي علي عصر هذا الكيس ، فأنت حين تعصرينه يخرج منه سائل ، فإذا كان السائل ابيض اللون ، فهذا يعني اننا مازلت حياً . اما اذا كان احمر اللون ، فهذا يعني انني فارقت الحياة . فلا تقلقي طالما كان السائل ابيض اللون " .

اخذ ادهى من ابيه معاً عصا طويلة وذهب الي اغوار الغاية ، وانفق اليوم بطوله علي وجه التقريب يبحث عن ثعبان عاصر. وفي وقت متأخر وعند حلول المساء ، وجد ثعباناً ملتفاً بين جذور بارزة لشجرة " بيليه " . ورفع الثعبان رأسه وحملق في الصبي بغل . ولما كان علي وشك ان يلدغه ، قال له ادهى من ابيه " لا تقتلني يا سيد ثعبان ، فانا صديقه الطيب . لقد اتيت هنا لأدافع عن سمعتك الحسنة ، ذلك ان كل فرد في قريتي يعتقد انك لست بذلك الثعبان الطويل، ورغم ذلك تدعي انك ملك الثعابين . لقد قالوا لي او اني وجدت ثعباناً عاصراً بطول هذه العصا ، فلسوف يقدمون له عنزاً كبيراً ليتلهما . فتعال اذن وارقد بجاور هذه العصا لأقيس طولك " . وألقي بالعصا علي الأرض ثم واصل حديثه " أريد ان أربطك الي هذه العصا ليست اطول منك . انني لا أريدهم ان يرتابوا في احقيتك بالملك علي كل الثعابين " .

وقاطعه الثعبان " أو لست تخدعني "

كلا لست اخدعك ، واؤكد لك انه لن يقترب منك احد . سأضعك بعيداً عن الجمهور ،وحالما يرون ان العصا ليست اطول منك ، سأحل وثاقك كي تتمكن من الاستيلاء علي اية عنزة تريد ، وتعود بها الي بيتك في الغابة ".

ورقد الثعبان العاصر بجوار العصا وتمدد . واقتلع الصبي بعض الحبال من الدغل وربط الثعبان الي العصا بشدة في كثير من المواضع . لقد ربطه بطريقة شديدة الاحكام جعلته غير قادر علي الاختلاج ، ثم حمله الي القرية .

حين وضع الثعبان امام الزعيم صاح هاتفاً " يا لك من ولد شجاع وداهية ! . . انك بصراحة ادهى مني ، واني لأقبل هذه الحقيقة يا بني . إنهم الاسلاف الذين دبورا مكيدة لإذلالي في شيخوختي ، ولو اني لا ادري سبباً لذلك ، مع انني اقدم لهم قربان المودة السنوي دائماً . شكراً لك يا بني علي هذا الثعبان ، وانه لوليمة كبيرة سنحظى بها اليوم " .

وازداد الزعيم حنقاً علي الصبي . وظل اياماً عديدة يفكر في الكيفية التي يتخلص بها منه دون ان يبدو انه ارتكب جريمة قتل . وفي يوم من الايام خطرت بباله فكرة ، فقال لأولاده انه يشعر برغبة في اكل حيوان " أم قرفة " وعليهم ان يجلبوا له واحداً من افراد هذا الحيوان يكون قد قضي بياته الشتوي في جوف شجرة "بيليه" تقوم في مكان معروف بالغابة . وكان الأولاد يعرفون موقع الشجرة ، لكن لم يخطر ببالهم اطلاقاً ان حيوان " أم قرفة " يقضي فيها بياته الشتوي . وقبل ان يمضوا في اليوم التالي الي الغابة ، دعاهم ابوهم جميعاً الي داره فيما عدا ادهى من ابيه وقال لهم " ما

اريده حقيقة يا اولادي هو ان تتخلصوا من اخيكم المتغطرس الاحمق ادهى من ابيه . ان الواجب يقضي بان يحترم الابن اباه دائماً ، وليس من بينكم من كان فظاً معي ابداً . . . ولم يقم احد منكم بإهانتي وجهاً لوجه كما فعل المعتوه اخوكم . لست اريده في الاسرة ، فلقد ابي ان يحمل اسمي ، وهو يعتقد انه ادهى مني ، وانه علي استعداد لأن يفعل المستحيل ليبرهن علي ذلك . حسن يا ابنائي ، لست اريد الاسترسال في هذا الامر اكثر من ذلك . وكل ما ابتغيه منكم هو ان تدفعوا بأدهى من ابيه الي جوف شجرة " البيليه" ، وان تسدوا عليه فوهها وتدعوه يختنق حتى الموت . اننا لو تركنا هذا المخلوق البغيض يستمر في الحياة فسيكون عاراً علي الاسرة ، وسوف يضلنا . والآن امضوا ونفذوا هذه المهمة علي عجل . لا اريد ان اراه معكم حين تعودون . تخلصوا منه في الدغل" .

كانت شجرة البيليه التي من المفترض انها تأوى حيوان ام قرفة ترتفع فوق قمة تل علي مسيرة نصف يوم من القرية ، وقد بلغها الأولاد ظهراً . وفي الطريق اليها ، اختار الإخوة ادهى من ابيه قائداً لهم . وقبل هو هذا التكليف علي غير رغبة منه. قال لهم انه ليس لزاماً عليه ان يقودهم لمجرد انه يتمتع بالدهاء . لكن اخوته اصروا علي ذلك قائلين له انه ليس من بينهم احد آخر اصلح منه لقيادتهم.

وكانت الشجرة عالية وجافة ، اقتلع كثير من فروعها وسقطت علي الأرض .وعند اسفل الجذع وبالقرب من الأرض كانت فوهة الفتحة المؤدية الي

تجويف الشجرة . وامام هذه الفتحة جمع الأولاد فروع شجيرات واضرموا فيها نيراناً يصدر عنها دخان بلا لهب حتى يمكن نفخ الدخان وتوجيهه نحو التجويف ، كيف يخرج حيوان ام قرفة ولما كان ادهى من ابيه هو قائد الجماعة ،فقد اكان عليه ان يبدأ النفخ وحين انحنى وبدأ ينفخ الدخان تجاه الفجوة ، دفعة الأولاد بعنف داخلها ، وسدوا عليه بصخرة ضخمة ، ولقد ادوا هذه العملية بإتقان عجز معه ادهى من ابيه عن دفع الصخرة بعيداً عن الفوهة رغم كل ما بذله من جهد . وراح يبكي ويصرخ ، لكن احد لم يسمع صوته في الخارج . واسرع الأولاد عائدين ليرفعوا الامر الي ابيهم وقد غمرهم شعور بالرضا علي انجازهم الرائع .

وكان ادهى من ابيه يحمل في جيبه سكيناً من باب الحيطة ، فاخرجها وراح ينحت الخشب محاولاً ايجاد مخرج له . . " اواه يا ربي ! .. هي تراني اخرج حقاً من هذه الفجوة ؟ وراح يبكي وظل ثلاثة ايام يعمل بلا توقف ، الي ان اصبحت الرقعة التي نحتها رقيقة للغاية . وفي صبيحة اليوم الرابع ارتطم بهذه الرقعة المنحوتة فجأة غزال احمل فاخترقها . وهنا اندفع ادهى من ابيه خارج الشجرة المجفوفة ، وعاد يتنفس مرة اخرى هواء منعشاً . ثم استجمع قواه المنهارة ووقف منتصباً علي بعد خطوات من الغزال . ورغم وهنه فإنه لم يكن يشعر بالجوع.

وقال الغزال " لا تقتلني ايها الصبي الصغير " ، وقد بدأ انه لا حول له وقوة ، وكان من متناول يد الصبي . ثم مضي يقول انني سوف اساعدك .

لكن كان خلفي فهد يطاردني ، وكنت اركض بطريقة عشوائية لأفلت منه، فأرتطمت بالشجرة وانا مندفع بجنون ".

فقال له ادهى من ابيه " لن اقتلك ايها الغزال الاحمر ،فقد انقذت حياتي " .فقال الغزال " استمع الي الآن ايها الصبي . عليك ان تعتلي ظهري ،لأني اشعر انك بلغت حداً من الوهن لا تقوي معه علي السير " .

واعتلى الصبي طائعاً ظهر الغزال ، فسار به حتى وصل الي طريق ممهد تماماً وسط الغابة ، وهناك طلب منه ان يهبط من فوق ظهره . ثم قال له وهو يمئ تجاه الغرب امض في هذا الطريق ، ولسوف تصل الي مدينة كبيرة . وهناك سيكون الناس فضلاء معك ، فكن فاضلاً معهم كذلك . ولا تعد اطلاقاً الي ديارك" .

عند ضواحي المدينة حياً رجل مسن ادهه من ابيه وقال له مرحباً ايها العزيز . انني علي علم بكل متاعبك ، وسأعني بك عناية جيدة " .

ووفر المسن لأدهى من ابيه الطعام ، وعاشا معاً في هناء . وكان ادهى من ابيه يطهو لنفسه وللمسن الطعام ، ويجب الخشب والماء ، ويتولي القنص وصيد السمك وتنظيف البيت ، اذا اصبح في مقام الابن لذلك المسن . ولسنوات طويلة عاشاً معاً الي ان شب ادهى سن ابيه عن الطوق ، وصار شاباً تام النمو ، واصبحت قواه الطبية ذات اثر فعال . وفي احدى المرات وفي اثناء تجاوله في المدينة ، رأي صبياً مكسور الرجل يرقد

بجوار احد البيوت ، وبجانبه جلس ابواه حزينين . فما كان منه الا ان جبر العظم المكسور ، فنهض الصبي الصغير في الحال ، واخذ يجول في المدينة فرحاً . وقدم الابوان لأدهى من ابيه بعض النقود والغذاء تعبيراً عن امتنانهما لما فعله لأبنهما ، فأبي وامتنع عن قبول الهدايا . ثم مضي بعد ذلك يطوف بالمدينة يقدم الطيبات للجميع بلا اجر . فأقبل عليه الاعمى والاصم والابكم والمشلول ، اضافة الي اناس يحملون مشكلات من كل نوع ، وكلهم يطلبون عونه ، فمد اليهم يده واعانهم ، واستمر علي هذه الحال حتى عمت شهرته البلاد.

وفي يوم اجتمع مجلس الكبار في البلدة واتخذوا قراراً بتنصيبه ملكاً عليهم . فكان عهده كله رخاء وتقدماً . وكان الناس يلجأون اليه من الممالك المجاورة في اثناء المجاعات طلباً للزاد ، فيصيبون منه وفرة ، وفي احدى المرات رأى اخوته الستة قادمين الي مدينته بحثاً عن طعام . وحكوا لها ان المجاعة نزلت بهم ، وكيف انهم ذاقوا المر بسببها . وعرفهم ادهى من ابيه ، في حين انهم لم يعرفوه ، فزودهم بكل ما يحتاجون اليه من طعام ، وطلب منهم ان ياتوا بأبيهم معهم فيما لو عادوا مرة اخرى يطلبون المزيد . وبالفعل احضروا اباهم من ابيه داراً جميلة للرجل وأولاده ، وقال لهم انه يرحب باقامتهم معه ، ولم يكون ملطبواً منهم ان يقوموا باي عمل من الاعمال ، وكانوا موضع رعاية كريمة . بيد ان العجوز وأولاده لم يدركوا سر هذا الكرم البالغ .

وفي يوم من الأيام راحوا الي ادهى من ابيه وسألوه " لم انت كريم معنا هكذا ايها الملك؟ فما كان منه الا ان عرفهم بنفسه ، وهنا خروا علي الأرض عند قدميه باكين يطلبون منه العفو والمغفرة ، فطمأنهم ادهى من ابيه وعفا عنهم . ثم رجا اباه ان يرسل في طلب كل زوجاته حتى يلتئم شمل الاسرة ، وبعث الرجل بالفعل يطلب حضور زوجاته وحين اتين تعرف ادهى من ابيه علي امه من بينهن . وكانت تبدو مهزولة شاحبة ، وكأنها كانت سقيمة عليلة طوال عمرها ، فاحتضنها وعيناه مغرورقتان بالدموع . وبكي كل منهما علي كتف الآخر .

وقال لأمه " لعلك لم تنس القيام بما طلبته منك " ؟

فقالت " نعم يا ولدي . كنت دائماً ما اعصر الكيس ،وكان السائل الذي يسيل منه ابيض اللون .

دائماً

" حسن ، لم يكن لديه اذن ما يخيفك " ؟!

لم اكن اظن ابداً اني سأراك ثانية يا ولدي . وجرت دموعها علي وجنتيها فواساها قائلاً :

" لا تبك يا أمي ، فلقد انتهى كل شئ " .

" لكن ينبغي ان تكون حريصاً مع ذلك الرجل الذي هو ابوك يا ولدي".

واخذها ادهى من ابيه الي بيته ، وطلب من اثنتين من زوجاته ان يستثقا من استحمامها وارتدائها اجمل الملابس الموجودة .

ودارت عجلة الحياة ثانية مع اسرة جبور ،اذا كانوا يستمتعون بخيرات المملكة العظيمة . وفعل ادهى من ابيه كل ما في وسعه ليهيئ لهم حياة كريمة جداً وهانئة.

وفي يوم من الايام وعلى نحو مفاجئ ، دعا جبور الكبير اولاده دون ادهى من ابيه للاجتماع بهم علي انفراد وقال لهم " لقد خدعتموني ايها التافهون ، تصورت حقاً انكم دفنتم الولد في الشجرة وسددتهم عليه الفجوة " .

وصاح الاولاد في صوت واحد " لقد فعلنا ذلك يا ابانا ، فعلناه حقاً "

وتقدم واحد منهم خطوات يشرح لأبيه ما فعلوه بكل دقة " ونحن في الطريق يا ابي اخترنا ادهى من ابيه ليكون لنا قائداً ، وجعلناه اول من يستدير لينفخ الدخان داخل جوف الشجرة . وحين بدأ في النفخ دفعناه داخل الفجوة وسددناها عليه بصخرة ضخمة لا يقوى حتى عشرة رجال علي زحزحتها من المدخل . اما ان نراه بعد كل هذا حياً يرزق لا يزال ، وملكا يحكم هذه البلدة ، فهذا امر يغمض علينا".

فقال جبور الكبير " إنه ما زال حياً علي اية حال ، وعلينا ان نتخذ خطوة حاسمة هذه المرة . يجب ان نغريه بالعودة معنا الي ديارنا ، وفي الطريق نلقي به في النهر حيث تفترسه التماسيح ، وبذلك نضع حداً لمصدر الخطر هذا " .

وفي المساء عرضوا علي ادهى من ابيه ان يعود معهم الي ديارهم في زيارة قصيرة ليروا كيف تسير الحياة هناك ، واخبرواه ان الاصدقاء القدامى والأهل سيسعدون حتماً حين يرونهم ثانية .

واضاف الوالد " بغض النظر عن مدى نجاحك في بلاد الغير، فمن الواجب الا تهجر ديارك ، فاسفلاك مدفنون هناك . انك لا تستطيع التخلي عنهم لأنهم هم الذين هيأوا لك ما انت فيه اليوم ، وهجرانهم سيجلب عليك اللعنة " .

وهكذا ابتلع ادهى من ابيه الطعم علي نحو جيد ، اذا وافق علي الذهاب مع والده واخوته الي موطنه . وحين اراد ان يصطحب معه حاشيته ، لتحمل هداياه للأهل والاصدقاء ، اخبره ابوه ان الرحلة ستكون سريعة ، وانه لا داعي لأن يزعج نفسه باصطحاب غرباء معه ، لأن هذه امور عائلية .

وفي صباح مبكر من احد الايام غادر الجميع متجهين الي الديار. وكان في الطريق نهر كبير ضمن نطاق المسافة الي قريتهم . وحين بلغوا هذا النهر اصدر جبورا لكبير الامر ، فانقض الاخوة على ادهى من ابيه

واوثقوه بالحبال تماماً والقوه علي الشاطئ . ولم يصدق ادهى من ابيه ما حدث . وكان كل ما فعله هو ان ادار رأسه وراح يحدق بارتياب في ابيه واخوته دون ان ينبس ببنت شفة.

وقال جبور الكبير " احسنت صنعاً يا اولاد ؟ ! لقد تمكنا منه اخيراً " ثم التفت الي ادهى من ابيه وقال له وهو يخزه باصبعه كنت تظن نفسك داهية ، ولكنت وقعت الآن في الفخ ، فخلص نفسك منه ان كنت داهية حقاً . الا تدري ايها الاحمق ان الابن لا يمكن ان يكون ادهى من ابيه ابداً ؟ لقد جلبت علي العار والمذلة بزعمك هذا الطائش . واليوم ينتهي كل هذا الهراء . كل ما لديك من دهاءا و كل من تظن ان لديك منه لن ينقذك . سنلقي بك في هذا النهر، وستفترسك التماسيح ، وسأستولى علي مملكتك ، ولن يلومني الاسلاف ابداً علي ما فعلت ، ولن يحملوني تبعة دمك ، فأنت الذي جلبت علي نفسك هذه النهاية السيئة ، واذا وقفت ضد عرف من اقدس اعراف القبيلة . من الواجب علي الولد ان يكون دائماً متواضعاً مطيعاً مذعناً ، لا لوالده فحسب ، بل ولكل رؤسائه كذلك . لكنك بدلاً من ذلك كنت شديد الوقاحة الي حد الادعاء بأنك ادهى من ابيك ، وبلغت بك جراتك ان سميت نفسك بهذا الاسم . خذوه يا أولادي الي التماسيح " .

كانت احكام الاعدام لا بد من ان تنفذ عند منتصف الليل وفقاً لقانون القبيلة . وكان الضحية يترك وحيداً يوماً او نحواً من ذلك يتناجى مع ارواح الاسلاف قبل ان يلقي حتفه . ولهذا جر الأولاد ادهى من ابيه ست ياردات

في اتجاه مصب النهر ، وربطوه الي شجرة علي الشاطئ . وكانت التماسيح تسبح بحرية في الماء. وقضي ادهى من ابيه اليوم بكامله وحيداً علي الشاطئ ، فقد ذهب عنه ابوه واخوته علي ان يعودوا اليه عند منتصف الليل ليعدموه . وتذكر هو نصيحة الغزال . . لا تذهب ابداً الي ديارك ثانية . لكن لا فائدة الآن من هذه النصيحة ، فقد فات الأوان " .

وعندما كانت الشمس علي وشك المغيب ، اقبل الي شاطئ النهر تاجر شاب ، يحمل فوق رأسه صرة كبيرة مليئة بالسلع ، وحط الشاب الصرة علي الأرض وجلس يستريح انتظاراً لقدوم القارب من الجانب الآخر للنهر. واحس الشاب بعد بضع لحظات برغبة في قضاء حاجته ، فاتجه بصرته في اتجاه اعلى النهر لهذا الغرض ، وكاد وهو سائر ان يرتطم بأدهى من ابيه فجفل وارتد الي الوراء مذعوراً . فقال له ادهى من ابيه " لا تخف . أفعل ما جئت من اجله ثم امض الي حال سبيلك ، فلن يقع لك مكروه " .

وصاح التاجر الشاب وهو يرتجف من الخوف " ايها الكذاب " ، انت هنا لأنه سيحكم عليك بالموت من جراء جريمة قتل ارتكبتها وفقاً للطقوس ، ولهذا انت مقيد الي الشجرة هذه الليلة ، ولست اود ان اكون طرفاً في هذه العملية . يا الهي ! ما الذي اتي بي الي هذا الطريثق ؟

وقال ادهى من ابيه يدافع عن نفسه " لن يحدث لك شئ . انني موجود في هذا المكان لأني اريد ان اكون ثرياً ،فحين اتخلص من هذا الموقف ، سأصبح اغنى رجل في العالم " .

وهنا بدا الاهتمام علي وجه التاجر الشاب ، فوضع صرته علي الأرض وتقدم الي ادهى من ابيه وسأله " أجاد انت ؟ "

فاجاب ادهى من ابيه " اسمع ما اقوله لك ، إنني اذا بقيت هكذا حتى منتصف الليل ، فسيأتي الطبيب الموكل بي ويؤدي شعيرة معينة ، ويعب بي الي ارض غريبة . ومن المفروض الا اعود الي دياري قبل اسبوعين . وحين اعود بعد هذين الاسبوعين سأجد بيتي يفيض بالمال ، وسأحصل ايضاً من هذه الأرض الغريبة علي تعاويذ خاصة تمنحني مزيداً من المال حين يفرغ ما في بيتي مما لقيت ، وبذلك اصبح غنياً الي الابد " .

وقال الشاب متوسلاً " أنصت الي جيداً . انك لست الا شاباً غضاً وانا اكبر منك سناً بكثير ، ثم انني فضلاً عن ذلك تاجر اعرف كيف اتعامل مع النقود . فدعني احل محلك واحصل علي الثروة ، وسأعطيك منها نصيباً كبيراً . وكلما احتجت الي مزيد من المال ، اعطتك ما تحتاج اليه ".

فقال ادهى من ابيه لعلك تخدعني ايها التاجر ؟. " اقسم لك انني لا اخدعك فصدقني ".

" حسن . . ستحل محلي ، ولكن عدني بأنك ستكون جاداً حقاً "

" أعدك بشرفي "

" وهو كذلك ، حل وثاقي اذن "

وحل التاجر وثاق ادهى من ابيه ، ورقد هو علي الارض ، فشد ادهى من ابيه وثاقه ، وربطه بعد ذلك في الشجرة ، ثم اخذ صرة بضائعه واختفى.

ما ان انتصف الليل حتى جاءت فرقة الاعدام ، وراح جبور الكبير يلقي ببعض تعليقاته الاخيرة :

" هذه وسيلة غير طبيعية تنتهي بها الحياة ، لقد آليت علي نفسك ان تكون ادهى من ابيك ، وقد حرمك هذا تلقائياً حق الحياة . سنلقي بك الآن في النهر ، وستلتهمك التماسيح ، لكن تذكرا ننا لسنا قتلتك ، بل انت قاتل نفسك ، ولعل الاسلاف تبارك روحك " .

وكان التاجر الشاب ينصت الي هذا الحديث الذي لا يصدقه عقل وهو صامت معقود اللسان . وحين حلوا وثاقه من الشجرة ليلقوا به في النهر ، راح يهز رأسه بكل ما اوتعي من قوة ويصرخ .

" لا تقتلوني . . لا تقتلوني . . انا اسمي يورفي ، ولم أسئ الي احد ابدا . أواه يا اهلي ! اواه يا اهلي ! " .

ووصل الي سمعه صوت صارم يؤنبه " اخرس . انك لولد مولع بالحيل ، وسنضع هذا اليوم نهاية لحيلك هذه " .

وصرخ التاجر " رباه . . كلا . . إنني تاجر من ناحية مصب النهر ولا ارتكب خطأ ابداً " .

وصرخ التاجر الشاب وهو يلقي به في النهر . وفي لمح البصر مزقته التماسيح ارباً .

استولى جبور الكبير وابناؤه الآخرون علي مملكة ادهى من ابيه ، الذي راح يطوف بكل ممالك الأرض الاخرى عاماً بكامله . وفي نهايته عاد الي ابيه الذي حل محله ، مرتدياً بعضاً من ثياب انيقة ، والتي كانت في صرة ثياب التاجر الشاب. اما بقيتها فقد صرها وحملها في يده . وعند ولوجه المدخل المسقوف لبيت الملك سأل " أين الملك ؟ " . وجلس علي مقعد مصنوع من نبات الأسل ، ووضع الصرة بجوار قدميه . وفزع الملك حين رآه ، ولم يصدق عينيه ، فقال له ادهى من ابيه " اجلس " فجلس الملك ، عندئذ واصل ادهى من ابيه حديثه لا تخف . لقد جئت لأقدم لك هذه الهدايا ً واشار الي الصرة " اسلافك بعثوا بها اليك . ولكنني لفي دهشة لان الناس هنا لم يستطيعوا التعرف علي ، وارجو الا يكون ذلك بسبب هذه الاسمال التي ارتديها " ، والقى نظرة ازدراء الي ملابسه الجديدة . انها اشياء لا تقارن بما لدى من ملابس جميلة في دياري . حسن ! لقد اتيت كما اسلفت

لك القول لأحضر لك هذه الهدايا ، فجدك ، وجدود اجداد جدك ما زالوا احياء .

وقد ارسلون لأقدم لك هذه الهدايا ، حتى تتيقن انهم دائماً التفكير فيك ، وهم يبعثون اليك بتحياتهم ، ثم ناول الملك الصرة ، الذي فضها بسرعة ، واصابته الدهشة حين وجد فيها خمسة مفارش للأسرة ، وعباءة كبيرة ، وزجاات عطر ، وعلب مساحيق ، وعقوداً ، وابريق روم ، واكثر من خمسة جنيهات نقداً ،ومرآه وامشاطاً ، واربطة للرأس وغيرها .

وواصل ادهى من ابيه حديثه قائلاً " اقاربك القدامى قالوا لي انه ينبغي ان احضر لك هذه الهدايا ، وان ابلغك بانهك يفتقدونك ، وانهم يأملون في أن يروك يوماً ما . لقد ارادوا ارسال كثير من الاشياء ، لكنني لم استطع ان احمل اكثر من هذا بمفردي . وانا شخصياً جئت لأشكر لك صنيعك معي . فلو لم تقم بإعدامي ، لما رحلت الي السماء ، ولما حصلت علي الاشياء الجميلة التي اقتنيها الآن . اسلافك بالطبع هم اسلافي كذلك ، ولقد استقبلوني بابتهاج عظيم . . " وقاطعه الملك مهلاً يا بني ، هل بمقدوري انا كذلك الذهاب هناك ؟ "

" يقيناً . . فالمكان معد لكل فرد من الناس ، ولكن ليس اليه من سبيل في اول مرة سوى الطريق الذي سلكته انا . اثم لك بعد ذلك ان تروح وتغدو كما تشاء" ولمح ادهى من ابيه امه التي كانت تقف عند المدخل مع

مجموعة من النساء تحملق فيه في فزع ودهشة وسألته " لم يرغب اهالينا في المجئ لزيارتنا هنا يا بني ".

" حسن . . انهم يودون ذلك ، غير انهم – كما تعلمين – يفضلون عادة الذهاب الي المدن الاخرى علي الذهاب الي مدنهم . فالموتى يكرهون ان يتعرف عليهم احد كما ولعك تعلمين . ولقد تطلبت عودتي قدراً عظيماً من الشجاعة . ثم ان كثيرين منهم فضلاً عن ذلك ، ليس لديهم الرغبة في ترك ثرواتهم وبيوتهم المريحة من اجل مكان كهذا . لذلك ان الحياة هنا قصيرة ، شاقة ومؤلمة ، انت هنا يقهرك خيبة الامل والاحباط والظلم والمرض والفقر والسحر وحروب البشر ، انت هنا تعيشين في خوف مقيم ،

ولا سبيل امامك ان تعرفي ما ستلاقينه من متاعب في غدك هنا . . لا يدوم السرور ، اذا سرعان ما يحل الالم محله . اما السماء فلا يشابهها مكان آخر . اشعة الشمس هناك تضئ ، ولكن دون حرارة شديدة . والأرض مرورية دائماً ، والمحاصيل تنمو طوعاً وبوفرة ، وكل ما على المرء ان يفعله هو ان يسعد بحياته ويستمتع بها . لا منازعات هناك ، ولهذا لا يوجد ما يدفع الانسان الي القتال . الناس هناك يعيشون في سلام ، يحب بعضهم بعضاً ، وليس للموت سلطان علي احد ، ولهذا لا يتحتم علي الانسان ان يكرس له هذا الضرب من الاجلال الذي يكرسه له هنا . هناك لا تجدين مرضاً . . "

وقاطعه الملك ثانية " او تظن يا بني اني استطيع الذهاب هناك اليوم" ؟

" سبق وان قلت لك ان هذا ممكن . كل ما يتطلبه الامر هو ان تمر بنفس مجرى النهر الذي مررت انا به " .

" ليست هذه المشكلة " ثم نادى كبرى زوجاته ؟ كوتيا ، مرى اشد الرجال بالمجئ ليشدوا وثاقي " .

انتشر النبأ في المدينة انتشار النار في الهشيم ، وود كل واحد من الناس ان يشد وثاقه وان يلقي به في النهر . لكن ادهى من ابيه امر بذهاب العائلة الملكية – اي الملك واولاده – اولاً ، ومن ثم اخذ الملك وابناءه وبصحبتهم جمهور كبير الي النهر، وهناك شد وثاق ابيه واخوته جميعاً ، وقال لهم انه سعيد لأنهم سيرون هم ايضاً اسلافهم ويعودون بثروة كما عاد هو . لكن عليهم الا يسلكوا مسلك معظيم الناس الذين راحوا يغرقون انفسهم بمتع الحياة هناك ، ونسوا اولئك الذين خلفوهم وراءهم . وينبغي عليهم ان يتذكروا زوجاتهم واطفالهم . وطمأنهم بأإنه سيعني بالمملكة في اثناء غيبتهم ، وحين يعودون ، فإنه سيترك كل شئ لهم ويعود هو الي دياره ، ذلك انه بقدر ما كان معنياً بهذا العالم ، فقد اشرف علي غايته منه . وبما انهم اسرة ملكية ، فلن يتركوا بمفردهم حتى منتصف الليل يتناجون مع ارواح السلف قبل الرحيل . وبعد ان تكلم ادهى من ابيه واطال كثيراً في حديثه

،قال لأبيه ان علي اخوته ان يمضوا اولاً ليسهموا في اعداد موكب الاستقبال الملكي له ، فوافق الملك علي ذلك .

وبناء علي هذا ، اخذ ادهى من ابيه يلقي بإخوته في النهر واحداً تلو الآخر ، وكلما القى بواحد منهم ، هاجمته التماسيح والتهمته في الحال . وحين انتهى من القائهم جميعاً ، حكي لجمهور النار عن المؤامرة الشريرة التي دبرها ابوه واخوته لقتله والاستيلاء علي مملكته ، وكيف انه كان سعيد الحظ لتمكنه من التغلب عليهم بالحيلة والدهاء، حين اوحي اليهم بفكرة انه كان في السماء وعاد منها .

واستمع الجميع الي القصة المدهشة في ذهول ، وانحازوا اليه جميعاً ، واعلنوا ان المتآمرين الاشرار يستحقون الموت .

ثم القى ادهى من ابيه بآخر تعليقاته الي والده قبل ان يلاقي محنته القاسية" ابي ! لماذا حاولت قتلي لإعلاني اني ادهى منك ؟ ان كل اب يتمنى ان يكون ابنه افضل منه ، وان يبلغ الذري التي لم يستطع هو بلوغها . ولكنك بدلاً من ذلك كنت تريد افضل الاشياء لنفسك . هل سمعت ابداً ان احدا يذهب الي السماء ثم يعود منها؟ انك قلت بأنني اخطأت بادعائي انني ادهى منك ، لكنك كنت شديد الغباء حين صدقت هذه الرواية المستحيلة . ولقد كنت سعيد الحظ حين خدعت احد التجار وجعلته يحل مكاني قبل اعدامي في منتصف الليل ، ولولا ذلك لكنت الآن في عداد

القتلى . وكل ما قدمته لك كان بعضاً من سلع ذلك التاجر الشاب . وانت فاجاتني حين صدقت انني احضرتها لك من السماء . حسن يا ابي ووداعاً ، ولعل الاسلاف يباركون روحك ؟ وصرخ جبور الكبير قائلاً " أواه يا بني ! ابق علي حياتي ارجوك ، واقسم اني لن ابغضك ابداً مرة اخرى . اواه يا بني ! اواه يا بني!

بيد ان ادهى من ابيه لم يعره التفاتاً ، والقى به الي النهر ، فمزقته التماسيح ارباً والتهمته في لمح البصر . ثم عاد مع شعبه منتصراً الي دياره ليضطلع بمهام مملكته مرة اخرى .

٥_"نجوجي واثيونجو" وقصته "شجرة التين والزوجة الخامسة"

يعد نجوجي واحداً من أهم كتاب افريقيا المعاصرين ولد في ليمور وبكينيا عام١٩٣٨، وبدأ يمارس أعماله الجادة في أثناء دراسته الجامعية(كلية ماكريري الجامعية بأوغندا، ثم جامعة ليدز فيما بعد).

كتب نجوجي المسرحية والرواية والقصة القصير، كما كتب في السياسة والثقافة والأدب، وتدور معظم أعماله حول الصراع القبلي والعرقي والماسي الناجمة عن هذا الصراع، وبدأت رواياته في الظهور عقب وقت قصير من تخرجه.

ومن أعماله الروائية الشهيرة: لا تبك يل طفل(١٩٦٤) والنهر الوسيط(١٩٦٥) وحبه قمح (١٩٦٧) ومن أعماله الدرامية: الناسك الاسود

التي نشرت عام١٩٦٨ وفي عام١٩٧٣ صدر له العودة إلي الوطن، وهو مجلد ضخم يضم مقالات نقدية في الأدب والثقافة والسياسة والأدب في جزر الهند الغربية، وفي منتصف سبعينيات القرن الماضي شغل منصب رئيس قسم الأدب بجامعة نيروبي، وكان قد قام بتدريس الإنجليزية في كلية ماكريري وجامعة نورث ويسترون بالولايات المتحدة الأمريكية.

قصة قصيرة للكاتب؛

شجرة التين والزوجة الخامسة

للكاتب الكيني نجوجي أو اثيونجو (جيمس نجوجي)

تلك هي شجرة تين جرداء، في عظمة تتشابك، جزعها يتضاءل حتي ليكاد يختفي ،وهي بالزهر متيمة.

إذ تتعري في لحمتها علي نحو الازدهار يشي، ومنها ألوان الحياة تنطلق.

كان ثمة زهرة من داخلها اينعت، وفي باطن الرحم ازدهرت، والآن ثمة رحمة مكتمل، في شكله يشبه الزهرة.

د.هـ لورانس

وقفت موكامي بالباب، وفي تثاقل أدارت رأسها وراحت تنظر ناحية الموقد، وانتابها التردد للحظة قصيرة.. فلقد بدت النار الخامدة و المقعدة الصغيرة بجوار الموقد وكأنهما يدعوانها للعودة. لا.. لقد استقر رأيها، لابد من أن

تمضي وفي ثوب خارجي زيتي اللون أملس شد إحكام حول رأسها، ولولاه لكان الراس حاسراً، ثم انساب فوق كتفيها النحيلتين الضيقتين، اندفعت نحو الظلام الموحش المخيف.

كل شيء كان هادئاً، والهواء يغمره من السحر، وإن أحست أنه يتهددها، وانتابها الفزع من اتساع رقعة الظلام الموحش العنيف الذي لفها في سرابيله، وبسرعة تحركت عبر الفناء الذي تألفه تماماً، وهي تخشي أن يصدر عنها أدني صوت ، وبدا الفناء وأكواخ ضراتها الأربع وظل كوخ زوجها بل وحتي كوخها جميعاً قد انضمت لتترنم معا وفي آن واحد وفي صمت، بلعنة أبدية علي ما تنوي القيام به ، وفي ذلك الصمت المتسم بالازدراء الممزوج بالرثاء توسلت إليها هذه الأكواخ وكأنها تقول:" إنك تهجرين رجلك.. عودي أدراجك!".

لكنها عبرت الفناء في إصرار، واتخذت طريقاً يفضي بها إلي البوابة اليسرى، وببطء فتحتها ثم أغلقتها ووقفت برهة ، أدركت خلالها هي تغلق هذه البوابة أنها تسدل ستاراً علي جانب من جوانب حياتها.

وكانت دموعها علي وشك أن تنهمر وهي تدير ظهرها بقلب مثقل بالحزن لمنزلها الشرعي.. وبدأت تتحرك.

وسالت نفسها.. تري إلي اين تذهب؟.. لكنها لم تكن تدري ولم تكن تهتم كثيراً بذلك، كل ما كانت تبتغيه هو أن تهرب وأن تمضي فلتمض إذن،

ولتذهب إلي أي مكان.. لتذهب إلي ارض ماساي أو إلي كامباني، كانت تريد الابتعاد عن الموقد والفناء والأكواخ والناس.

الابتعاد عن كل ما يذكرها بمرتفع موهوريني وكل سكانه، سوف تمضي ولن تعود إليه.. إلي زوجه.. لا .. إنه ليس زوجها، بل هو الرجل الذي اراد قتلها، والذي كان يود تحطيم روحها، إنه لم يعد زوجها بعد، ولو أنه هو الرجل نفسه الذي كانت شديدة الإعجاب به.

كيف تأتي لها أن تمقته؟.

وتدفقت علي راسها أفكار ، تدور حول وكأنها طوفان عارم ،وعادت إلي ذاكرتها صور حياتها الزوجية القصيرة مع موثرجا.. زوجها.. الرجل العصامي صاحب الزوجات الأربع وما أشيع عن غلظة معاملته لهن، وإحجام أبيها عن أن يزوجها له، ورفضها بعناد أن تصغي السمع إلي اعتراضاته، ذلك أن موثوجا كان قد فتن لبها تماماً فاستبدت بها الرغبة فيه، وتاقت نفسها إلي الانضمام إلي حاشيته.. زوجاته وأبنائه ، والحقيقة أنها منذ تفتحت عيناها علي الحياة وهي تكن في الخفاء وبإصرار، إعجاباً شديداً بهذه الرجل .. بخطوه.. برقصه.. وفوق ذلك بصوته الجهير ومظهره الرياضي كل ما يحيط به كان يوحي بالغموض والقوة، وكانت فترة الخطبة قصيرة وغريبة.

فهي مازالت تتذكر خفقات قلبها وبسمتها العريضة وترددها في قبول عقد من اصداف المحار عربونا للزواج، ثم احتساء الجعة وتقديم الصداق المعتاد عقب قبول العقد.

غير أن الناس لم يصدقوا ذلك، ونظر إليها بسخط واستياء كثير من المحاربين الشبان ممن تجاهلت عروضهم للزواج، كانوا يتحسرون قائلين" أيضحي بمثل هذا الشباب والجمال من أجل رجل مسن"؟ وساد اعتقاد بين أكثر من شاب بأنها وقعت اسيرة سحره.

وراحوا يتهامسون بذلك فيما بينهم، والحقيقة أنها كانت كذلك، فقد انجذب قلبها كلية نحو هذا الرجل.

ولم يكن يوم أن حملت إلي كوخه بأقل إثارة في نفسها وانطباعا في ذاكرتها عن غير ذلك من أحداث، وكان كوخاً جديداً شيد خاصة من أجلها فلقد كانت في طريقها إلي المزرعة، وإذا بثلاثة رجال انشقت عنهم الأرض فيما يبدو يدنون منها فجأة إنها لم تدر من أين جاءوا، ثم أدركت الأمر لقد كانوا قادمين من أجلها، وكان ينبغي عليها أن تكون واعية بذلك من قبل وأن تعد نفسها لهذا الحدث، فلقد حل يوم عرسها، وبشدة رفعها الرجال الثلاثة من فوق الأرض.

وللحظات انتابها في الواقع خوف، وتهيأت للدخول في صراع حقيقي لتتخلص من قبضات أيدي الرجال الثلاثة المحكمة والرقيقة في آن واحد، وكانوا يحملونها فوق أكتافهم، الرجال! آه.. أولئك الرجال!..

إنهم لم يهتموا كلية بصراخها المهتاج وتجاسر أدهم وقرصها في وقاحة قائلاً لاحد زميليه بلا اكتراث" فقط لكي تهدأ" وصدمتها القرصة بطريقة غريبة ، طريقة غريبة لكنها ممتعة للغاية، وكفت عن صراخها، وأدركت لتوها أنها محمولة علي الأكتاف فوق عيدان من الذرة الناعمة المليئة بالحبوب، والتي كانت تدغدغ قدميها وجنبيها...

والرجال يمضون بها، وأحست بسعادة حقيقية، غير أنها أدركت فجأة أنه يتحتم عليها أن تولول طوال الطريق إلي بيت زوجها، وأن تواصل هذه الولولة أسبوعاً بكامله.

وتذكرت الموسم الأول .. فيه فاض عليها حبه وغمرها برعايته. وبسبب شبابها صارت هدفاً لحسد وبغض غيرها من الزوجات الأخريات وسرعان ما نشأ بينها وبينهن نفور شديد يا لهؤلاء النسوة!.. لماذا لم يدعنها تستمتع بما استمتعن به سنوات... بحبه؟.... إنها مازالت تتذكر كيف أن واحدة منهن وهي أكبرهن سناً تعرضت للضرب حين رفضت السماح لها بالحصول علي وقود من كوخها، وكان هذا إيذانا بالكف عن المشاجرات والعراك والتصرفات العدائية، وأصبح الصراع بعد ذلك يدور في صمت،

وصارت موكامي صلبة في مواجهتهن ، ولم تعد تأبه لوقاحتهن وتجاهلهن لها وهو ما جاهدن في أن يشارك فيه أهالي القرية بكاملها، وكانت تحدث نفسها، لماذا تأبه لذلك؟.. ألم يتحقق لها حلمها وطموحها وأمل حياتها بل وكل شيء في هذا الرجل؟.

ومضي موسمان بل وثلاثة مواسم ثم بدأت الدنيا من حولها تتبدل، إذ أنها لم ترزق بعد بطفل.

ثاتا!.. امرأة عاقر!.

لا طفل حتي الآن يربط ما بينها وبينه من أواصر

لا طفل تشغف به حباً، تعانقه وتعنقه.

لا طفل يخلد ذكري الأرواح الراحلة

أرواح أسلاف رجلها وأرحام أبيها

لقد انهزمت وأدركت هي ذلك كما أدركته الأخريات ، وكن يتهامسن ويبتسمن .آه ،كما آلمتها ابتساماتهن، بما تحمل من وقاحة وخيلاء، بيد أنه لم يكن ثمة ما تخشاه، فليشعرن كما شئن بالظفر، فما زالت تستحوذ علي رجلها.

لكن الرجل بدأ يتبدل دون سابق إنذار، ومع الأيام هجرها تماماً وهجر كوخها وأكثر من التزام كوخه هو وأحست بالمرارة ، وراحت تلح في طلبه وانفطر قلبها أسي عليه، لكنها لم تظفر به، فقد ارتدت إلي موثوجا المحارب الفلاح الراقص قساوة قلبه المعهودة تلك التي كانت قد خففت هي حدتها فترة من زمن، وبدأ يضربها فقد شاهدها مرة تتشاجر مع كبري الزوجات فوجد في ضربها متنفسا لكل غضبه المختزن واستيائه وإحباطاته. آه الضرب، والجمع الذي شاهد هذا الضرب ولم يقدم عوناً قط! وكان هذا مقدمة لذلك التنكيل والشقاء اللذين كان أن يفضيا بها إلي الموت في ذلك الصباح نفسه، فقد زارها في وقت مبكر وانهال عليها ضرباً دونما إنذار أو توضيح للسبب.

وكان الضرب مبرحاً بحيث تركها علي شفا حفرة من الموت، لم تصرخ.. فقد رضيت بنصيبها، وبينما كانت علي الأرض راقدة تظن أنها النهاية ، تبين لها أن الأخريات ربما كن يعانين كثيراً بسببها.

أجل .. لقد أتيح لها أن تراهن وهن يتعرضن للضرب ويصرخن التماسا للرحمة بيد أنها جاهدت بإصرار ألا يؤدي مثل هذا الضرب وهذه الهواجس إلي إخضاع إرادتها، يجب أن تنتصر وأن تفوز.

وبهذا اليقين وإدراك الأمور حولها استقر رأيها سريعاً علي ما اعتزمته، فليست هذه الدار مكاناً تعيش فيه، وهي لا تستطيع العودة إلي موطنها

لتواجه مرة أخري أباها العزيز المسن الحذر دوما، إنها لا تستطيع تحمل هذا الخزي.

وردها نسيم الليل البارد عن شرودها، وانسابت علي وجنتيها دموع طال احتباسها وهي تسرع هابطة في ذلك الممر الذي يتلوى داخل الدغل منحدراً إلي الوادي ومخترقاً الغابة ، وكان الظلام كثيفاً، فشق عليها أن تجد طريقها خلال متاهة الاشواك والأحراش، ولكن..

أيتعاطف معها ذلك الجدول المدموع وهذا الشجر الساكن الذي يحيط بها، أم أن كل هذا يشارك القرية في شجبها الصامت لفعلتها هذه ؟.

وسارت مع الجدول، ثم عبرته عند بقعة هي أكثر بقاعة انخفاضاً حيث كان ثمة حجران أو ثلاثة أحجار تمكنت من أن تخطو فوقها، وكانت ما تزال شديدة الإحساس بالمرارة وبالحزن إلي درجة أنها لم تلحظ الأخطار المحدقة بها، أليس هذا هو المكان الذي يلقي فيه بالموتى، حيث ترفرف أرواحهم في الهواء وتمتزج بالأشجار وتتحرش بالغرباء والدخلاء؟. ونقمت علي الدنيا وعلي زوجها بل علي نفسها.. أو يمكن أن تكون مخطئة طوال هذا الوقت؟. وهل هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه بسبب تشبثها في أنانية بهذا الرجل؟.

ولكنها أيضاً ضحت بشبابها وجمالها من أجله، وازداد انهمار الدموع واشتدت اللوعة.

أواه يا أرواح الموتى.. تعالي إلي!

أواه يا مورونجو، يارب جيكوبو ورب مومبي،

يا من تسكن كرينياجا العالية، مع ذلك أنت في كل مكان.

لم لا تخلصني من الشقاء؟.

يا أمي الأرض العزيزة ، لم لا تنشقين وتبتلعينني

تماماً كما ابتلعت جومبا- جومبا الذي

اختفي تحت جذور الميكونجي؟.

واستغاثت بأرواح الأحياء و الموتى ترجوها أن تأتي وتحملها إلي مكان بعيد حيث لا يراها ثانية وإلي الأبد أحد علي الإطلاق.

وفجأة سمعت صوتاً بعيداً حزيناً، صوتاً مثيراً للشجن، ولكنه صوت حقيقي، كما لو أنه كان استجابة لتوسلاتها، وبدأت الريح تهب بعنف ، واختفي آخر نجم، وهو النجم الذي كان يسري عنها بغرابة شديدة، وكانت وحيدة وسط ظلمة الغابة ، ومسها شيء ما بارد لا روح فيه ولا حياة فوثبت، وأخيراً فعلت ما لم يفلح الضرب في أن يؤديه معها.. فقد صرخت، وتجاوبت الغابة جميعها مع صدي صراخها، وتملكها رعب قاتل، وارتعد الجسد كله، ثم أدركت أنها لم تكن وحيدة، كانت تشاهد هنا وهناك ألف عين تتوهج توهجاً متقطعاً علي طول جدول الماء ، كما شعرت بأيد كثيرة خفية تدفعا

إلي الأمام وإلي الخلف، غير ان المشهد ووعيها فجأة أنها وحيدة في ارض الأشباح وبعيدة عن بيتها أصاباتها برعدة، لقد فقدت القدرة علي الإحساس أو التفكير أو حتي البكاء.. كان هذا قدرها.. فهي إرادة مورنجو، ورويدا رويداً أخذت تتهاوي علي الأرض، حيث خار آخر ما تبقي لها من قوة في جسدها، وكانت هذه هي النهاية.. ذروة أحلامها وطموحاتها، بيد أن الأمر كان مثيراً للسخرية تماماً إنا لم تكن تريد حقاً أن تموت فالحياة جميلة ، وهي لم تكن تطمح في شيء سوى أن تتاح لها الفرصة لتبدأ الحياة من جديد، حياة بذلك والعطاء، وليست تلك الحياة التي تقوم علي الأخذ فحسب.

لم يكن لتعاستها حد، ذلك أنها حين أرتمت بجسدها علي الأرض، بل وعندما تردد في الأفق صياح بوم وزئير ضبع من بعيد، اشتد هبوب الريح، وعلا الصوت الحزين وازداد اقتراباً، وبدأ هطول المطر، وبدت الأرض من تحتها وكأنها تتصدع وتنفلق.

لكن عندما أبرقت السماء وقصف الرعد، لمحت شجرة عن بعد، وكانت الشجرة ضخمة، ولمحت مع ذلك الدغل وهو ينحني في رقة ولكن في إجلال حول الجذع كله، وعرفت.. أدركت دون أن ينبئها أحد أن هذه هي الشجرة، شجرة التين المقدسة والتي يسمونها موكويو- مذبح مورونجو البصير بكل شيء وقالت" هنا أخيراً موقع الحرم المقدس".

ونهضت تركض تتحدي المطر والرعد والاشباح، وتواري الزوج وتواري معه أهالي مرتفع موهروييني، تلاشت صورهم واختفت بلا اهتمام ولا مبالاة، وبدأ وكأن الحمل الذي يثقل علي قلبها قد انزاح عنها وهي تركض داخل الدغل الشوكي وتصطدم بالأشجار فتهوي علي الأرض ثم تنهض، وذهب عنها إحساسها بالعجز، وتبدد قلقها، وكان هدفها الوحيد هو أن تصل إلي شجرة التين، إنها مسألة حياة أو موت ... معركة من أجل الحياة، فهناك تحت شجرة التين ستجد الملاذ والمطأنينة هناك ستلتقي بإليهها مورونجو.. رب قبيلتها.

ومن أجل هذا راحت تركض رغم ما اصابها من هزال، وقد أحست بتوهج ممتع ولذيذ يسري في حناياها ويتراقص مع رحمها، إنها الآن قريبة من موضع الحرم المقدس، من مذبح أعلي العليين ، موضع الخلاص، وهكذا راحت تركض تجاه المذبح، لا إنها لم تكن تركض، بل إنها تطير، أو إن روحها علي الأقل هي التي تطير، لقد شعرت أنها خفيفة، كأنها ريشة تدفعها الريح، وأخيراً بلغت البقعة التي تريد لاهثة مبهورة الأنفاس.

واستمر المطر يهطل، لكنها لم تكن تدري أو تحس بشيء، فقد رقدت وغلبها النوم تحت أذرع شجرة الإله الحانية، وسيطرة عليها السحر مرة أخري.

وصحت موكامي من نومهاوجله، ما هذا. لا أحد هنا؟ لا شك أنها كانت مومبي التي تقف إلي جوار زوجها جيكويو هي التي مستها مسة رقيق نفذت داخل جسدها مباشرة ، لا، لابد من أنها كانت تحلم، ولكن يا له من حلم جميل وغريب!.. وكات مومبي قد قالت " أنني أم القبيلة" وتلفتت موكامي حواليها، وكان الجو بارداً مظلماً، وهناك... كانت الشجرة العتيقة قوية فتية.. كم من الأسرار لابد من أنك تحتفظين بها؟..

" ينبغي أن أعود إلي البيت، أعود إلي زوجي وقبيلتي"

موكامي التي تفوهت بهذا كانت امرأة جديدة وديعة، ولكنها كانت مفعمة بالأمل، ثم استغرقت في النوع ثانية .. إنه السحر.

كانت الشمس ترتفع في المشرق وخيوط الضوء الغامرة التي تميل للاصفرار وتتخلل الغابة، تنفذ إلي حيث كانت موكامي تجلس متكئة علي الشجرة ، وعندما مست بشرتها خيوط الضوء الشاردة، انتابها إحساس بهيج، إحساس سري في كل جسدها، فجري الدم في عروقها ، واه واه ... لقد شعرت بدفء.. دفء شديد وبسعادة وبهجة وتراقصت روحها، واستجاب لذلك رحمها.. ثم أدركت أنها حبلي... لقد كانت حبلي منذة فترة من الزمن.

وحين نهضت موكامي واقفة تتهيأ للعودة، حملقت في الفضاء بعينين غائمتين، وقد انحدرت علي وجنتيها دموع امتنان وخشوع عميقين، وتطلعت عيناها إلي ما وراء الغابة إلي ما وراء جدول الماء، كما لو أنهما تشاهدان شيئاً ما.. شيئاً يخبئه المستقبل البعيد، وأبصرت أهل مورهوريوني، ورأت ضراتها ورجلها... رأته فتياً قوياً يقف بينهن ، ذاك هو مكانها الصحيح، هناك بجوار زوجها ووسط الزوجات الأخريات، يجب أن يتماسكن ويساندن القبيلة، ويمنحنها حياة جديدة.

ومن مكان بعيدة خارت بقرة، فنفضت موكامي عنها أحلام اليقظة.

" يجب أن أمضي".. وبدأت تتحرك و ما زالت شجرة التين منتصبة في صمت.. ضخمة .. يكتنفها الغموض.

ويبقى الشعر الافريقى خالدا.....

_ستيلا ب.شيباسولا:

هي كاتبة ملاوية، تلقت تعليمها فى المدرسة الثانوية للبنات ليلونجى وكلية بروفيدنس المعلمين فى مولانجى ،وعملت فى المدارس الابتدائية الملاوية والزامبية لعده سنوات، استكملت تعليمها فى الولايات المتحده بداية فى كليه البرتوس ماجنوس فى نيوهافان،كونكتكوت،ثم جامعه رهورد ايلاند فى بروفيدنس،كلية ست أولافينورث فيلد،مينسوتا،وأخيرا فى جامعه نبراسكا فى أوماها،حيث تخرجت ببكالوريوس فى تاريخ الفن،كتبت بعض القصائد، واشتغلت على الاساطير الشعبية الملاوية، وهى الان تكتب (قصة غرامية) لسلسه هرت بيت لهاينمان. تعمل فى قسم المراجع لمكتبة جامعه نبراسكا فى أوماها.

ومن قصائدها ما يلي:

اسمك هبة

الى هيلين

ابنتى الصغيره هذة

سأجعلها تشع

(روحانى)

عن الالم والشعب

صمتت الحكايات الشعبية

الان الليل يخدش حلمى

فى الكهف المعتم حيث الرغية

تصهر العطش ،الدوار،

والمحبة،

التى تتوهج على وجهي.

فى هذا البيت الدائرى من الحكمه

ترقص بلاتعب حتى

أغدو بلا أنفاس،مشتعلة

بالالم والرغبة المتذكره

بينما يدى تلاطف بطنى

أزينك وألمعك

حتى تشعين فى قلبى،

أنت استجابة صلاتى ،

رمل الشاطئ الابيض ،هبة

من جزيره أبيك،

الخرزة البيضاء الموعودة

التى ستزين عنقى.

(ترجمة: غادة الحلوانى)

_(مكسيم نديبيكا – Maxime N'Debeka)

الشاعر: مكسيم نديبيكا من مواليد العام ١٩٤٤، في برازافيل بالكونغو. له مسرحيتان: "الرئيس"، و"الغد المغني"، ومجموعات شعرية عدة، منها: "شموس جديدة" (١٩٦٩)، "الحميض والليمون" (١٩٧٥)، "علامات الصمت" (١٩٧٨). اختارت المختارات هذه القصيدة من ديوانه الأخير، وهي بعنوان: "٩٨٠,٠٠٠".

"سنة أخرى

تحترق تحت شمس البيض الفارغ

سنة مفرغة

سنة غير موشومة

بأية لطخة زمنية

سنة ليست بسنة

سنة مهملة

كانت تعرج بالأمس

واليوم تميل إلى القصر

سنة أخيرة

مغيرة بحجم ذرة

استولت عليها الأشباح وقضمتها

قصرت الأيام

ويكاد القمر أن يخترق الليل.

هل سنجرؤ على سؤال الشمس

عن قصر طريقها غير المعتاد

إذا كانت ممرات الليل مقفرة

هل سنقوى على طرح الأسئلة

لماذا أثداء النساء مجدبة

لماذا جفت الأنهار

لماذا ترشح إهراءات الأرض

لماذا تفرغ خزانات السماء

لماذا تنقص الحياة

لماذا تنقص الحياة هناك

وتزداد هناك

هل تغذي الجهة هذه الجهة الأخرى

من يقوى من يقوى من يقوى ؟

نحن نقوى على ذلك

نحن ال ٩٨٠٠٠٠

ال ٩٨٠٠٠٠ مجوع

ومكسور

ومخبول ".

.....

_(تشيكايا أوتامسي – Tchicaya U Tam’si)

تشيكايا أو تامسي (Tchicaya U Tam’si – 1931 – 1988)، من مواليد مبيلي في الكونغو، والده، فيليكس تشيكايا (١٩٠٢ – ١٩٥٩)، زعيم كونغولي مرموق: أول نائب عن الكونغوفي الجمعية الوطنية التأسيسية بفرنسا في العام ١٩٥٤، ثم مرة ثانية في العام ١٩٥٦، كما جرى انتخابه نائبا في الجمعية الوطنية الفرنسية، وهو مؤسس "الحزب التقدمي الكونغولي".

أما ابنه الشاعر فأقام في فرنسا منذ العام ١٩٤٦، وما لبث أن عاد إلى بلده، ورأس تحرير جريدة "الكونغو"، واقفا إلى جانب الزعيم الكونغولي الراحل باتريس لومومبا في نضاله التحرري. عاد إلى باريس مرة ثانية وأقام فيها بصورة مستمرة، عاملا في منظمة اليونسكو، حتى وفاته في العام ١٩٨٨. كرمه بعد وفاته "موسم أصيلة الثقافي" في المغرب (ومنه "المنتدى الثقافي العربي – الإفريقي") بأن خصص جائزة شعرية للشعر الإفريقي تحمل اسمه مرة كل سنتين. صدرت له، بالإضافة إلى الروايات والمسرحيات، عدة دواوين شعرية: "الدم الفاسد" (١٩٥٥)، "نار الأدغال" (١٩٥٧)، "خداعا للقلب" (١٩٦٠)، "موجز: مداخل فهرست العشق" (١٩٦٢)،"البطن، متبوعا بـ: الخبز والرماد" (١٩٦٤)، "القوس الموسيقي" (١٩٧٠)، و"السترة المنزلية متبوعا بـ: فقرات السهر" (١٩٧٧

). اختارت له المختارات قصيدتين: "ضفيرة للنسج " من ديوان "نار الأدغال"، و"احتضار" من ديوان "خداعا للقلب":

القصيدة: "ضفيرة للنسج":

"بعد أن أفشى سر الشمس

رغب في كتابة قصيدة حياته

لماذا البلوريات في دمه

لماذا الكريات في ضحكاته

كانت روحه يانعة

حين صرخ أحدهم في وجهه

أيها العبدالأسود

احتفظ بضحكته العذبة

وبشجرة ضخمة من تمزقه العنيف

الذي هو وطنه

يسكن فيه مثل المتوحش

خلف المتوحشين أمام المتوحشين

نهره كان القصعة المأمونة

لأنها كانت من برونز

لأنها كانت لحمه الحي

عندها قال لنفسه

لا حياتي ليست قصيدة

ها هي الشجرة ها هي المياه ها هي الأحجار

ثم قراءة الأيام القادمة".

القصيدة "احتضار":

"اسمي أفضل مفتاح للأحلام

كل عصفور يغني

في بركة من الدم

كان البحر بجانبنا يرقص

بالجينز.

جداف أسود

عارف بالنجوم

يقول إنه قادر على شفاء البرص من البرص

بوحل عيونه الحزينة

إذا حرر حب قوي ذراعيه

اسمي مفتاح الأحلام

لست برصاء

اعطني هذا النهر قبل أن أتفوه باسمي

وتنحل ذراعاك

عندي مجداف مغن

أين هو النهر للعبور

أهي بركة الدم هذه

اتبعني

أغمض عينيك

افتكر بالقمر

تأمل نهري

لنعبر

أنشد الرجل والعصفور

قضيا ثلاثة نهارات وثلاث ليال

في عبور

السرير الملوث لأحد الأنهار

اسمعوا

الموج يهدهد الجداف

إنه ينام

إنه يحلم

ركام من الجثث يبسط وليمة

يتم فيها أكل الأحشاء ليلا

ثم السواعد ثم ذاكرته.

_(بيراغو ديوب – Birago Diop)

الشاعر بيراغو ديوب: من مواليد ١٩٠٦ في السنغال: عضونشيط وبارز في مجلة "الطالب الأسود" التي أسسها سنجور في باريس في الثلاثينيات، وأدت دورا لافتا في نهضة إفريقيا الأدبية.

اشتهر بحكاياته الإفريقية التي كان ينقلها عن ألسنة الرواة في بلده، ثم يكتبها بالفرنسية، وقد نشرها في ثلاثة مجلدات. من أعماله الشعرية: "أفخاخ وأضواء"، التي اختارت منها المختارات هذه القصيدة، وهي بعنوان: "أنفاس":

" استمع أكثر

إلى الأشياء منها إلى الكائنات

يمكننا سماع صوت النار

استمع إلى صوت الماء

استمع في الريح

إلى الدغل دامعا:

إنه نفس الأسلاف.

الذين ماتوا لم يرحلوا أبدا:

هم في العتمة التي تضيء

وفي العتمة التي تتضخم.

الموتى ليسوا تحت الأرض:

هم في الشجرة التي ترتجف

هم في الغابة التي تتأو ه

هم في الماء الذي ينام

هم في الكوخ، هم في الحشود:

الموتى ليسوا موتى

استمع أكثر

إلى الأشياء منها إلى الكائنات

يمكننا سماع صوت النار

استمع لصوت الماء

استمع في الريح

إلى الدغل دامعا:

إنه نفس الأسلاف الموتى،

الذين لم يرحلوا أبدا

الذين ليسوا تحت الأرض

الذين ليسوا موتى.

الذين ماتوا لم يرحلوا أبدا:

هم في ثدي المرأة،

هم في الطفل الذي يستهل

وفي الجذوة التي تحترق

الموتى ليسوا تحت الأرض:

هم في النار التي تنطفئ

هم في الأعشاب التي تبكي،

هم في الصخرة التي تنوح،

هم في الغابة، هم في الإقامة،

الموتى ليسوا موتى.

استمع أكثر

إلى الأشياء منها إلى الكائنات،

يمكننا سماع صوت النار

استمع إلى صوت الماء.

استمع في الريح

إلى الدغل دامعا:

إنه نفس الأسلاف.

إنه يعيد كل يوم قول الميثاق،

الميثاق الكبير الذي يوثق،

الذي يوثق مصيرنا بالقانون،

بأفعال الأنفاس القوية

مصير موتانا الذين ليسوا موتى،

الميثاق الثقيل الذي يوثقنا بالحياة.

القانون الثقيل الذي يوثقنا بأفعال

الأنفاس التي تتلاشى

في سرير النهر وعلى ضفافه،

الأنفاس التي تتأو ه

في الصخرة التي تتأو ه وفي الأعشاب التي تبكي

أنفاس باقية

في العتمة التي تضيء والتي تتضخم

في الشجرة التي ترتجف، في الغابة التي تتأو ه

وفي الماء الذي يجري، وفي الماء الذي ينام،

أنفاس أقوى أخذت

نفس الموتى الذين ليسوا موتى،

الموتى الذين لم يرحلوا،

الموتى الذين ليسوا تحت الأرض.

استمع أكثر

إلى الأشياء منها إلى الكائنات،

يمكننا سماع صوت النار

استمع إلى صوت الماء.

استمع في الريح

إلى الدغل دامعا:

إنه نفس الأسلاف".